الدّكتور عبد السلام المسدّي

فتنة الكلمات

نشر وتوزيع

مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس

Bibliotheca Alexandrina
0117361

عبد السّلام المسدّي

فتنة الكلمات

مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس

إِلَى اللّغَةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا لُغَتِي

وَكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهَا لُغَتِي

وَقُلْتُ عَنْهَا إِنَّهَا لُغَتِي

وَهْيَ الَّتِي تَقُولُ الْيَوْمَ إِنَّهَا لُغَتِي

رِسَالَــــةٌ

أيّتها اللّغةُ .

سأكونُ رفيقا بكِ لأني رفيقٌ بنفسي .

لن أُفشِـيَ من أسرارِكِ إلا جميلَ أسرارِكِ .

لن أصِفَ ازدواجَكِ بين حقيقةٍ و مجازٍ .

سأقول المجازَ .

وسأسكتُ عن الحقيقةِ .

ففي الحقيقةِ أسرارٌ .

و لن أفتحَ ديوانَ الأسرارِ .

فسرّكِ سرّي .

و أنا الـمُـصَابُ بكِ يـومَ حَـلَّ بنا وَبَاءُ الحرفِ . يومَ الْـتَــهَـمَـتْـنَا الكلماتُ .

فالحمدُ لله أن أنْجَـانَا ـ أنا و أنتِ ـ من الطّاعونِ .

أيّتُهَا الْكَلمَاتُ

جـائني هـاتفٌ من أقاصي الفجـر فأنْـــطَقَنِي بقولٍ و أوصـاني أن أقْرِئَكِ إيّـاه :

سـأقُصّ عليكِ قصّتي بما لم تعلميه من قصّتي . و سأقصّ عليكِ فيها ما لم يَعْلمـه قبلكِ عالـم . وسأقْضـي ستّـةَ أيام أقصّ فيهـا عليكِ صباحَ مسـاءَ لا أنقطـع عن الـقَصّ إلا ساعـةَ الليـل . و بعـدها سيكون كلامٌ . و ستكون نشأةٌ أخرى . و سيكون ما لم يكن .

فَاتِحَةٌ

في البدءِ كان الصّمتُ . و قبل الصمتِ الخلاءُ . فَلِمَ الكلامُ . و كم من لفظةٍ قَتَلَتْ . و كم من سكتةٍ أنقَذَتْ . و أصحاب اللسان يتكلمونَ فيندمونَ . و أصحابُ الْعَيِّ يَحْلُمُونَ بليلة القدر عسى أن يُوهَبُوا كلمات بيّنات .

و الأزهارُ تتناجى . و النّملُ يتحدث فيُفشي الأسرارَ . والأبْكَمُ حَاسِدٌ و محسودٌ . يَعرف أنه يُحبّ وَيعْشَقُ . و لا ندري كيف يحبّ و يَعشق . وَيعرف أننا نتكلم . و هو على يقين أنّنا لا نعرف كيف نُحبّ ولا كيف نَعشق .

و العُشاقُ درجاتٌ . و العشقُ مقاماتٌ . و الوفاءُ مراتبُ . و أقربُ العاشقينَ إلى عرش السّماء مَنْ عَشقَ اللّغةَ . و أولاهم بجنّة الخلد من عَشق حتى فَنِيَ وحَلّ في اللغة حُلولا . فاتّحدتْ به . واتّحدَ بها .

إشَـــارَةٌ

أيّتها اللّغةُ . أيا فُصْحَايَ. يا شاعرتي .

عندما التقينا . و دقّتْ أجراسُ السماء . بأنك قَدَري . كان اللّحَافُ يغطّي أشعارَكِ. و البـرْقـُعُ يَسْـتُـرُ وَجَنَـاتك. أحْـبَبْتُـك كما أنت . ثم جئتـنـي إلى حيث أنا . وسألتنـي خلعَ النّقـابِ . و خلعته . فأحببتُ عُرْيَ الكلمات . و انكشـافَ الحروفِ . و فصاحـةَ الحركـاتِ . ثم غـابت الأسبابُ . و انقطع البيانُ . و سـاد الغموضُ . حتى رجعت تبحثين عن تأويلِ الكلامِ . ارتفع الحجابُ . و انكشفت الأشعـارُ . وتعرَّى الجـيدُ . و بَانَ الهلالُ وضَّـاحا مُشْـرقا . و قلت . أيا نـاطقي . حلّتْ بالكلمات حساسيّةٌ فَاضَتْ بها جلـدتي . فجلَوتُ بعضَ الحروف . ووضعتُ عليها حركاتــها . دَقّ النذيـرُ في خاطـري : هل زالَ البرقعُ أم ضاقَ اللّحـافُ. نـظرتُ في عينيـك . فأحسستُ بهمســة تقـول : توارَت الحقيقـةُ. و ظهر المجازُ. فسَقط القناعُ .

حَسِبْــتُك لُغَتي . لســاني و جنانــي . فما كنتِ إلا لهجتي . و لا يعرف الضادَ غيري . كـلّ اللّغاتِ سَـوَاسـيَهْ .

بَيَـــانٌ

أيّتهـا اللغة : أراكِ أمـامي نصّـا . و أراكِ قصيـدة . فأتـذكّر الحسنـاءَ أتقصّى جمالَها . فـأدركُهُ و أدركُها . و لا شيء يفـرّق بينها في ناظري و بين جمَالها . و أتأمّل شأنَكِ فيأخُذُني الضّـلالُ ووجهي حائلٌ . مَنْ أنتِ وَ فيمَ جَـمَـالُكِ .

النّصّ تَعَاقُبٌ و استتباعٌ . تتوالى أجزاؤه كتوالي دقّات السـاعة على الجـدار . و القصيدة تَـدَرّجٌ و استكمالٌ . ينثنـي فيها الوقعُ على الوقـع كانثناء أنّـاتِ القلبِ. و يتـراوح بيـن مفاصلهـا نبضٌ كتـوالي خَفَقَـاتِ الـدَّمِ و هي تمـور بين ضخٍّ و امتصاص .

إذا تعلّقتُ بجمال الكائنات رأيتُ فيه بعضًا من نفسي . ثم إذا تأمّلتُه رأيتُه صورةً كاملةً ممّا في نفسي . أهيـمُ بالكائن الجميل لأنني أتوسّل به إلى نفسي . فَـأهيـمُ بـه على قدر هيامي بنفسي .

أمّـا أنت أيّتها اللغـةُ فأجـزاؤُكِ صنيعتي . أراكِ منـّي فـأعْجَبُ ممـا صنعتُ بكِ. عَجَبي أنيّ أقتنصُ أسرارَكِ . و أنيّ بأسرارك أقتنصُ النَّاسَ. فـأجـرّهـم إلى مـملكتـكِ. فـلا أبـالي أنْ نَسُوا أنيّ المستضيفُ لهم

عنـدكَ . وَ أسْــعَـدُ . أنْ تـركوني وهـاموا بـكَ . كـذا شأني مَعَكَ . و على غير شأنكَ شأني مع الحسنـاءِ لا يُميتُ سُـوَيْدَاءَ غَيْـرَتِي قـاتلٌ . فهل أنتَ خادعتي . أم أنـا السّيّدُ . أم تُراني كَمَلَكٍ اعْتَصَمَتْ به سبيـّةٌ فَأجَـارَهَـا صُبْحـًا ولَـمْ يُمْسِ إلا و هو أسيرها .

جَـمالُنا إذا أقـر لنا الناسِ به . فَأسْـلَمُـوا إليه أنفسَهم . و جمال اللغة من إيمانهم أنَّ لنا عليهم سلطانا . و أن طريقنـا إليهم فيه طريقُ اللغة . بها نَنْفَـذُ إلى خَـلَجَـاتِ قلـوبهم . و بها نستـولي على مَرَاكِـنِ عقـولهم . و بها نروح عليهم و نغدو .

جمالُ الكـــائنات كلّ إذا جَــزَّأتَــهُ أفسـدت عَلى نفسـكَ مـا كنتَ مطمئنـا إليـه . و عكَّـرتَ صفوَ اللّـذة التي كنتَ تَرتشفُ . و جمالُ اللغـة كلّما جُسْتَ بين أجزائه ازددتَ بـالكلِّ افتتانًـا . و ازددتَ للصّـورة التّامـّة إجلالا .

أيتها اللّغـةُ :

هل تَـأذَنيـنَ بإفشاءِ سرٍّ من أسرارك .

يوما ركّبْتُ بكِ قـولاً . فانساقَ لـيَ الطّيْشُ بـالألفاظ . فَلَم أدرِ ما كنت أعْنيـه . وَأمْعَــنْتُ . فَـتَزَيّــنَتْ صورةٌ . لم أفهمْ لها معنًى . رَدّدْتُ القـولَ فـاستطبتـهُ وعـاودتُ . فـانثـالَ فيضٌ من الـدّلالاتِ . وَأشْعَتُ فَــقَبلُــوا . و استراحـوا . ثم سَلكـوا في النّشــوة كلّ مسلكٍ . فَأغرانــي

عَبَـثُ الولـــيد . فظـلّتْ معـي زمـــنًا . و أردتُ تـوبةً. و استغفرتُ لديك . وَهمَـمْتُ أنْ أعْـلـنُ الذّنبَ . وأنْ أصعّـدَ على منبر الاعتراف . أطـهرّ النفسَ من أعـلاقها . وأغْـسلُ بالبوحِ إثما ظلمتُك بـه . و أنا بين عزمٍ وانثناء سمعتُك و سمعتُ مَن حَـوْلَـك تُـهاتـفـينَ ، و يهاتفون :

ليس مِن عبثٍ ما صَنعتَ . إنما العبثُ مـا ستَـصْنَـعُ . فلا تُكَـابرْ . فلقد نَطَقَتْ على لسانكَ اللغةُ . أرْسَلَتْ إليكَ واحدًا من جنودها . وَهُمْ نَـفرٌ من الجنِ قالـوا آمَـنّا . فماهم بِمُلحدين . فلا تَسْتَعِـذْ باللّه من طيفٍ ألَـمّ بكَ .

و من يومها . تَـزَيّـنَـتْ لـي فتنةُ الكلمات .

خِطَـــابٌ

إليكَ أيا سيّـدي أنا أتحدّثُ . إليك أزُفّ اللّفظَ عريسا مُـخَضَّبًا . إليكَ أنا أتـحدّثُ . حاضرًا . أتحدّثُ . غـائبًا . أتحدّثُ . الكـونُ ملءُ يَدي . أتحدّث . أوقفتُ يوما ناظري . و أمسكتُ عن الحديث . و أعلنتُ عن حفلتـي. و مـراسمي . أستقبـلُ النـاسَ لـو لائمـي . و أشعلتُ الشمـوعَ. و أوقـدتُ العطـورَ . ورأيتُـني أتحدّثُ. إليكَ أيـا سيّـدي أنـا أتحدّثُ . حاضرا أتحدّث . غائبا أتـحدّث. أفْـتَـرشُ الـزَّرَابيَ . والموائدَ. وَأرُشّ رذّاذَ الفـوائحِ . أتحدّثُ . وأدُقّ على الجَرَسِ القويّ. مُـؤَذّ نًـا . أنَّ الضيوفَ . كـالقادمينَ . يتـزيّنُونَ . ويُفاتـحُونَ . مُهلّـلينَ. يبـاركونَ . جـاؤوا إلى حفـلـةِ الإقبـال . جـاؤوا و في يَـدهمْ. كهـديَّـةِ الأعـياد . فيـضٌ مـن الأزهـار. و تسـاءلـوا. أينَ الأنيسُ . و أينَ لحنُ غنائنـا . وتقدّمتُ الخُطَى. متهـاديًا . أتحـدّثُ. وَيَـدي تُصَافِحُ. والأذنُ تَـهْـمـسُ. و الشّفاهُ على الصّدَى. و اللّحنُ سكرانَ يُغَنّـي . وأنا الذي . إليكَ . أيـا سيّـدي . أتحدثُ. و القـادمـونَ تكاثـروا. و الشـاهـدونَ على الأرائك. أتحدّثُ. و طـاف بالجمعِ السكـونُ. و خرج النّـادل . فَفَكَكْتُ

من يَـده الأطبـاقَ . و قلت . أنا أتقَـدَّمُ. ورأيتُني . أتحدّثُ . فـوزّعتُ العقـــودَ. و أسدلتُ الفواكـــهَ . و صحْتُ بالـواقفينَ. دونكم أتحدّث . فتخالطوا. وتهامسوا. وقال قائلهم. هي ليلتُهُ التي. عن فجرها يتحدثُ. عن نـورهـا. يتحـدّث . هاذي ليلتُـهُ التي . نحنُ الشهـودُ . و عقـدهـا يتـواترُ. لا تَـنْـثُرُوه . وجُـمَـانُـهُ المصقـولُ. كمُـرجانِ بحـرٍ. لُؤْلُـؤُهُ الـمَحَارُ. و فيضُهُ لا يَنْضُبُ . فتنـاغموا. و تهللوا . و سمعتُني أتحدث . حتى إذا طـاف بالألـقِ النّهَـى . جـاء المَلاَكُ. و انتشر البيـاض. و سَطع النور. ووجدتُني أتحدث. وامتدّت الأيدي . وتهاطلت الأكُفّ. وقلتُ. أنا أتحدّث. إليـكَ أيا سيّدي أنـا أتحـدّث. وأسلمت النّفـوسُ رحيقَهـا . و طـافَ بـالكـون الخلـودُ . وتشقّقتْ فـوقي السّماءُ. و اصّعّـدَتْ نحـو المعارج. في ليلتي أتحـدث ووجدتـُني. كَمَنْ هَـفَا. وَلطَيْـفه. يتحدّث. ووجـدتُنـي . بيـن الخـلائلِ. أسْـترَقُ الوَفَـاءْ . وأنْـسَلّ. و القلبُ واجـف ووجدتُني. أتذكَّـرُ. طولَ الخُطَى. عَـرْضَ الفُؤَادِ. إليكَ. أيـا سيّدي . أتحدّثُ.

صَـــوْتٌ

هل تَـذْكُـرُ يا هـذا . مـا أنتَ إلا يتيمُ العقل . شقيّ بحسّـه . هَـلاَّ ذَكَـرْتَ يـومَ كـان أوّلُ مواعيـدِ الأنسِ . سـاعـةَ طَـفَـحَ البريقُ في هـدوء السّاكنينَ. فقالت . ألاَ تـرَانَا قـد سَـوَّيْـنَـا لأنفسنا صُـوَرًا تُفـارِق الحسَّ و تتوسَّـلُ بالسماءِ . ألاَ تَذكر كيف اعْتَصَـرَ كـلامُها في نفسـكَ رحيقـا . و انقبض قلبُك انقباضةً . ولم تُـخْفِ عليها شيئا . قلتَ . الومضةُ حارقةٌ . والحسُّ شفّافٌ . و النّباهـةُ من الشّيطانِ . فكيف جاءتـكِ و لم تجئني . أمِ اسْترقتِ سمعا . و قبضتِ قبضةً منْ أثَـرٍ .

ومازال الكـلامُ بكَ . و مازلتَ بـه . ولم ينفكَّ الشك يرتـادُك . حتى كـانَ الذي كـانَ . في آخرمـاكانَ . فأيقنتَ أنها قـد سُوِّيَتْ روحـا من غير أرواح الكائنينَ .

أيتها اللّغـةُ . منكِ الشّعـرُ . وأنـا صائـغُـكِ .

فَـلْنكْـتُبْ .

أيّتهـا اللّغـةُ . لا أقْــدِرُ أنْ أراكِ على غيرِ مـا كنتُ أراك عليـه . لا أقدِرُ . لاأقدِرُ .

و من أقاصي المفازات. حيث أذنَ للّغـة أن تَتَخـلّقَ في تجاعيد التـّربة الصّفراء جاءني رسولُـهَا. فَتَمَثّـلَ لي جِـنّيّــةٌ تقول الشعرَ. و تُلْهمني أن أقـوَل الشعرَ. فتقـاضينا. وتلـونـا تسابيحَ اللفظ. ولم تنفكّ تُـرَاوِدُني على قوله. و أنا كَالْـحَرُونِ. وكان الإذعـانُ أشقّ علـيّ من قَلْـعِ الأضـــراس الحـيّة. حتّى ارتـاض بـِيَ الألـمُ. فَـنِمْـتُ.

ثم تمايلتُ ثَمِـلاً على السرّيـر. و الفضـــاءُ من حـولي فسيحٌ بظُلمـة أحبّهـــا. تمـــــايلتُ. وألْقَـــيْتُ بـــــذراعي. وكـــانــت مسافـــــةٌ تَفْصِلُـني. فَمَـدَّدْتُ. و تحسّستُ. و استنشقـتُ أعلىَ الكَتفِ. و كان بلا غطاء فغطّيتُهُ. و قفلتُ نائما. وَدَبَّ نداءٌ. فكتمتُ صوتَــهُ. وتسلّلتُ إلى فضاء الظلمــة. تـاركًا مـا تـركتُ. الـرُّبى منتفضةٌ. و اللّـون ساطعٌ. السَّـــنَـمُ على الـرّبى يتشـامخ زهوا بحمـرة تكـاد تتكلّم. رمـالٌ ذهبيّـة تتجاعـد. ولاتَقَـرُّ على موج. مَـدُّهَـا إلى الهضـاب. و ارتدادُهـا إلى النهر يفـورُ. و بينهما رحلـــةٌ تَــشُدُّ الأنفـاسَ. كأنفـــاسِ غَـوَّاصٍ إلى أعماق الــلآلــىء إذا أطـــال الصـّبرَ تَـنَـامَى مَــحَـــارُهُ. و اشتـــدّتْ دانـــتُـه. و قالت. دُونــي مَشارفُ الـغَـرَقِ.

و تحـرّكَ النائمُ. حَالـمًـا. انفضَّـتْ سـدائلُـهُ. يحُـرّكُ الخـمائلَ مِـنْ عَلَـى الأكتـاف. و الجيدُ كـأنه يَــقفزُ. مُلاَعبًا مَنْ يَــرْقُبُ. و تَسَلَّــلَتْ أصابعُـهُ و هي نائمةٌ إلى مَفْرَقِ الجبينِ. وسَـرَّحَـتِ الأشعارَ. ثم قَذَفَتْ بها

على البساط . و ابتسمتْ . فأيقظَها ابتسامُها . يقظةً استدارت بها الكتفُ . و ارتختْ الأطرافُ . كأنها الشمس بـازغـة . والجسـدُ الجـنّـيُّ كالعاري . يَستقي شعـاعَها على رمـلٍ فضّـيّ . ثم اعتــدلت الهضـابُ . و أومــأتْ تـلالُـها . و انفسـح المـوجُ . و اقـتـربت المسافــاتُ . و استوت الأطرافُ ذاتَ اليمين تتكـاسل في رفــق يتأذّى بـه فاقـد الصّبرِ . وغَمَـزت الجنّيّــة وكأنها اللغـةُ . وَمـدَّتْ . فظنــنـتُــهـا قــادمةً . فعــرّجتُ على الجـانب الأيمن . فحاضنتُــها . وَمَـدَدْتُ إطــلالةً . و قـاربتْ أنفاسـي ساطــع الأنــوارِ . فشممتُ وَهَجًا خِلْـتُــهُ الكبريتَ يَصّـاعَـدُ مـدفـوعا بشَـذاَ الإصباحِ .

عُدْتُ أرَافــقُ . فانتدى مَا اشْــتَدَّ . وَلان اللحظُ حتى رَقَّ فارتخى الزّهـو . وهَـتف الــمَـيْلُ . و خِلْتُ أني أقـول الشعرَ . وراحت أصـابعي تَرْسُمُ الحروفَ . تُـمرّرُ الأنـاملَ على ما انكشف من الكلمات . فكأنها بكل لمسةٍ تتفــوَّهُ . و بكلّ رعشةٍ تَــنْـبُـسُ بـأوتارِ صوتٍ بليــغٍ يُــفْصح بلا مجـازٍ .

وزاغت اللغة . وأنْـشَدَ النّـهرُ خــريـرَ الألحانِ . تسمع الصوتَ وَلا تراها .

و تَـمـايــلَ القـدُّ علـى البساط تقــول إنه يَـمشـي الــخُطَـى و لا يـتحرك .

و ظنـنتُ أنّ ما باللغة بي .

فـأضرمتُ الهشيمَ . وفـاح لِـهـيـبُهُ .

وقلتُ . صَـنَعْـتُـهَا .

فانْتـَـفَضَت الكلماتُ . وَارْتَدَتْ . و خرجتْ هاربــةً . ثم انفلتَـتْ
كأنّـهـا السّهـمُ و هي تقــول إنـي أثْـأرُ .

فلـم أجِبْ .

و لكنـي أفَـقْتُ .

فلـم أجِـدْ شعْـراً .

نَغَـــمٌ

أيتها الفصحى .

مَـن شَـقّ هضابَـك . و تسلّق جبالَـك .

من ألان صخرَك . وثَـقَّـفَ أشجارَك .

من فَـجَّـرَ عيونَـك . وَأسَالَ أنهـارَك . وسَـوَّى بهجـتَـك .

من أغراكِ بنفسِــك فأخـذكِ الـتَّـيْـهُ حتـى عُـدْتِ إليه تشتكين لَحنَ العابثينَ .

قالت :

ليس في الكون مخلوقٌ إذا ادّخرتَهُ ذَوَى . و إذا أخذتَ منه زكَا . و إذا مَضَى عليه الْـحَـدَثَـان نَـمَـا . و إذا أفْـنَـيْـتَـهُ انْـبَعَثَ .

إلاَّ أنَـا .

أنَـا اللّغة .

قال . فلن تَـخْـرُجي و إن قَضَيْـتِ عمـرًا وعمرًا عن فَلَكِي . يا مَـنْ دخلتِ حـرّةً إلى فَـلَكِي . طـائـعـةً سائـغـةً لن تَـخـرُجي .

قالت :

إليكَ أسْلَمْتُ نَفْسـي . يامن أخْصَبْـتَنـي بأجِنَّـةِ المعانـــي . يا مَـن

حَمَّلْتَنِي من الدّلالاتِ ما لم أحْمِلْ .

أيتها الضَّادُ.

بضفائرِ حرفك تُكَابرينَ. و بنثائر لفظك تَتأبَّهينَ . أخال أنني أصنعُك. فَتَلُفّينَ حَرُونًا. و على شفاهك ابتسامةٌ من بَنَات حَوَّاءَ. أخذتها تُحَاكين بها الآدميّينَ. وأنتِ الرُّوحُ لم تَرْكَبي جَسَدًا. تغْوينَني فَأمْسكُ بك . أعْرُكُ عَجِينَتك . حَتَّى تَلين . أريدُ الأناملَ أن تَمُرُّ مَرًّا خفيفًا. فإذا هي تَجُوسُ غائرةً من لِين صَلْصَالك.

أصْنَعُ الْمَعْنَى. وَأرسلُ به. و كُلِّي خُيَلاءُ بما صَنَعْتُ فيرتَدُّ إليَّ. و قد ابتسم له المتلقّفونَ. وَغَمَزُوا بي. و تهامسوا: لم يَدْرِ أنّه المصنوعُ. وأنّ المعنى صانعُهُ. فأكتوي بمكرهم. وأتأوَّهُ بحالي مَعَك.

والذينَ أعجزْتِهِمْ . وَعقَلْتِ لسانهم. كَبَعيرٍ ثَنَوْا ذراعَهُ. و كفارسِ النّومِ يرومُ ركضًا. هاهم تَشَرَّدُوا عنكِ. فالتفُّوا يراودونني عليك.

هاهم يقولونَ.

مفتونٌ بضَاده. فَاتِنٌ.

هاهم يُنْشِدُونَ.

أيتها الضَّادُ.

الروحُ أنتِ و أنتِ الروحُ فاستمعي.

الرّوح أنت و أنت الروح فانهملي .

هوِنّـي على سـائلك . وألهـميـه ظنًّـا يَشُـدُّ به أوْدَتَـهُ . وَسرِّحـي له الشّكائمَ. و اتـركيه على بعضِ وَهْـمه. أنَّـهُ يَصنع فيك صُنْعًـا. و يُـركّبُ بكِ أصبَاغًا. ثم يسوّي بـك تمـثـالا .

فإذا انتهى إلى الميعاد . ففاتـحيـه بلطـفٍ . وَصوّري له مرآةَ الظّلّ . و لا تخافي عليه. فبعضُ الجمـال أقسى من بعضٍ .

لن يَـقْــذفَك برصف . و لن ينـالك منه سـوءٌ. فالكـائنُ الْـجَسَدُ أعْجزُ من أن يُـلَوّثَ بنُـفَاثَـتــه شهْدًا مُصَفَّى. فيه سحـرٌ. و فيه الحجَى. فيه الـوَجَعُ. وفيه الشّـفَاءْ.

عَـلاَمَـــةٌ

أيتها العربيّـةُ .

لأنْت لـذّةٌ تُغْـرِي . لَلشّعْـرُ حريّـةٌ لا تُبَـالِي . و العـزّةُ مُـدْيَـةٌ تَستأصلُ الأورامَ . أقـولُ فــأرتوي . وأصْمُتُ فتختال نفســي . يَرَى الجائعُ شهيَّ الـمطَاهِي . فَـيُمْسكُ . و تَـمْتَدُّ الكـأسُ الـزُّلاَلُ للظّـمْآنِ و هو يتلوّى كَالْـمَجْمُورِ . فَيَـلْعَقُ الرّيـقَ مُتَبَلّـلا باللّطفِ .

ويتصَلَّبُ التَّـوْقُ . مُـخَـاتلاً . ثم يَـغْـضَـبُ . كالحليمِ الذي أفقـدوهُ الصبرَ فلم يَـبـْغِ احتسـابًا . و كعــاشقٍ تعلّقــوا بـه . فَالآنَ عـنـانَ النّـفـس . وأهْـدَى شكـائـمَـهَا . ثم فعـل الـدَّهْـرُ فـعلَـهُ . فأَنْسـاهم شأنَـهُ و ما فَـعَلَ فَأَقْـسَـمَ متوعّدًا . ولم يَـدْرِ أنه يكرّرُ السخـاءَ .

أنا الكــلامُ .

أنا اللســانُ .

فـوقَ كلِّ هَـوًى كبريائي .

فـوقَ كلِّ الناطقينَ شُمُوخِـي .

خُلقْتُ أنــُوفًـا .

سَـأبْـقى .

لاَ أطْرُقُ الألفــاظَ مستنجـداً .

لاَ ألْـثـمُ الأرضَ باكيا عـزِّ الحبيبِ .

أدوسُ على الحسِّ الهفـيف .

أقْبضُ الأنفاسَ لقلبِ وَالِــه .

و أقول في صمتٍ و في وَجَــعٍ .

لا خيرَ في شعرٍ سقـاني الْـجَوَى .

وَ أضْعف نفسـي فَـأذَلّـني .

لا خيرَفي لفظٍ يُـجَرِّدُنـي شموخي و كبريائي .

تَـصْـغُرُ الدنيا و تعلو لغتي .

ينحني الشعرُ و تَـشْـمُخُ عزّتي .

لاشعرَ عندي إلا متى يسابقني اللفظُ في طاعتي .

وجاءت اللغـةُ . تمــشي الــهُوَيْـنَـا . بألــفاظها . بكلِّ الكلمـات . جـــاءت . وفي عزِّ كِـبْـرِهَا . و جبـالُ التِّيـه شاهــقةٌ . وهي نافــرةٌ . سكْرَى . مكابِـرَةٌ . أقسمتُ عليهـا . وَأضْمَرْتُ يميني . لَـتَـعْرِفينَ مَعي . كَـرَّةً أخـرى . حرْقَـةَ الشّعـرِ و أوجاعَ الكـلامِ . وَلَـتَلْثمــينَ مدادَ اللفظ ساجيَـةً . وَلَـتَطْلُبينَ رحمةَ الأرض و هـي ظامئةٌ . وَلَــتَـهْمـسينَ . بكلِّ

الجوارحِ. قائلةً. لاهثـةً. اسقـني بربّ الكون. واغفـر زلّتي في الشعرِ. ما كان حقّي أن أتيـهَ. ما كان حقي أن أجُـورَ.

كُـلُّ مَا تَـأْتيه مُـطَاعٌ. مقـــدَّسٌ. أقَبّـلُ الأطـرافَ. و أنحنـــي. و أقول في غير تَـمَنُّـعٍ. ماشئتَ. روحي إليكَ. و هبتُـها يَـا آسِـري.

أيتهـــا اللّغـــةُ.

أرا كِ تراودينني . وأمرُكِ نافـذٌ.

بنفسك لن تُـغْريـنـي.

لن أقول بك شعراً.

لن أمَـكّـنَـك من نفسي.

تَـمَـرَّدي ما شاءَ لَـكِ الإبَـــاءُ.

راوغيني كيفما بَـــدَا.

ثم عُـودي فـأسْلِـمي.

فأنتِ صنيعتـي.

نَـــصٌّ

زارني يومـا شيطـانُ الشعر . وحادثني . ثم رَوَى عني مفتريا . قال .

صـــادفني على غير ارتقـابٍ رســولٌ . دَفَعَتْ بــه حــرّةٌ . كـــانت تقول . كلّ الرجالِ قَـفْرٌ . و بعضهم قَـفْرٌ و جَـدْبٌ .

فَأسَـرَّ لِـي بما أسَـرَّ . وانتَـظَـرَ . فقلتُ له . حبُّ الكلامِ من الهوى . و الهوى يـُورِّثُ الغوايــةَ . قال . ومـا حبُّ الكلام . قلتُ . إذا تَـحـدثْتَ و الناس حولَـكَ . بعضُهم يَسمعُ . و الآخركأنما يَسمعُ . و قليلٌ منهم مَنْ يُصْغي إليكَ . قـــال . أفليس حبّ الكـلام من حبّ العبـــادِ . قلتُ . من أحَبَّ الكلام أحَبَّ نفسَـه . و من أحبّ الناس أصغى إليهم .

قال . و هل تتبـدلّ الأحوالُ .

قلتُ . إي وربيّ . إذا خـاطبتَ أنيسَك وبينـك و بينـه المســافـاتُ . فـالكـلامُ إليـه أرواحٌ مجسَّـدةٌ . و الألفـاظُ على الشّفـاه و على الخطـوط كائناتٌ تتنفّسُ . و تَرتدي الأثوابَ . و تــرُدُّ عليكَ الصّدى . تقولُـهــا . و تَـلْمسُها . ثم تراودُها . فتضمُّـها . فتُــعانـقُكَ . ثم يَـلَذُّ لـك إثارتهـا . فتثورُ . و تُـمسكُ بكَ . فتحتضنُها . و تفارقُ بها الأرضَ . و ترفعها بيديك

إلى فضاء السماء . ثم تستقبلها . و قد ضَحكَتْ إليكَ. فَتَضغَطُ بصدرك ضغطةً تُطْلِق أزَّةً و لا تُفصِح بالأنين. حتّى تَصيحَ حروفُها فَرَحًا . وهي تتألم. ومازلتَ بالكلمات. و هي بك. حتى تَحْسَبَ أنها غيرُ الكلمات قد حضر إليك. كما تحضر الأرواحُ. فلا تُسَلِّمُ جفونَك إلى مَنَامِ الليلِ إلا وهي في أحضانك.

قال.

فسمعتُ الحرّةَ بعدها تُرَدّدُ. و تقول . كلّ الرجال كأشباهِ الرّجالِ. إلاّ واحدًا. ولم تزد شيئا.

ثم هَجَرَتْ قومَها. و صَبرتْ على الأذى . فطلبوها. فأرسلتْ إليهم:

إذا طرأ الطارىءُ. و ارتجّتْ القواعدُ. فاندكّتْ أبوابُ النفس. و إذا ماجتْ الأركانُ. و تداعتْ الجوانحُ. فَتَمايَسَتْ أعمدة اليقين. و إذا تكاثفت سحب الشك. و تلبّدت الغيومُ. فدوّت الأعاصيرُ. حتّى لكأنّ الدنيا غيرُ الدنيا. و إذا النفس أنكرتْ نَفْسَهَا . و الجُحُودُ على الأبواب. و المِقْصَلُ يهوي على ما مضى قَطْعًا وَبَتْرًا. والتاريخ سَلَّةٌ كبرى . واليد كالأظافر. تَسْتَلُّ و تَنْهَشُ. تَحْفرُ في الذات. و تغوص على الأغوار فَتُخْرِجُ ما تُخرِجُ. و تُلقِي ما تلقي. و تُعاد الساعةُ على أوّلها. يومَها قولي . أنا الفاعلةُ . يومها قولي . أنا الساعة. يومها قولي .

إني به . يومها شُدّي على المِعْصَمِ . و على المسابح . و اعْقدِي ألفًا و ألفا . قَطَرَاتٍ من الوجد . كحبّاتٍ من اللطف . يومها قولي . ثم قولي . إني أنا .

تَرْخِيمٌ

قال ابن الحسن .

«يا عبدُ : الحروفُ كلُّها مَرْضَى إلاَّ الألفَ . أما تَرَى : كلُّ حرف مائلٌ . أما ترى الألفَ قائمًا غيرَ مائلٍ . إنما المرضُ الميلُ . و إنما الميلُ للسَّقَامِ فَلاَ تَمِلْ . »

قالت الفصحى .

في الدلالةُ أسبحُ . وبالإيحاء أفْتتنُ . و عروسُ اللفظ شاعرة . جاءت من الصحراء . جاءت و في يدها . قنديلٌ من الأصواتِ . بَحريّةً . جَبليّةً . أفرغتُ شبَاكَهَا . و اصْطَفَيْتُ فصوصَها . و التذَذْتُ بصفوها . و سَبَحْتُ في الموج . غائصا . و جريتُ في الصحراء معانقا . لثمتُ شفاهَ الرملِ حتى أذابَني . حُلْوَ المَذَاق . عَاريَ الزَّبَدِ . وأسْدَلْتُ مائلَ الشعرِ . و قلتُ للتي سَبَحَتْ . فوقَ اللُّجَيْنِ . إلى الماء . فعنده خَبرَي . ألوذُ و أطفو . كقائلِ الشعرِ . في غَزَلٍ . و الأنفاسُ شاديةٌ . أبحرتُ . إلى الأعماقِ . أهفو . كَرَطْبِ النسيمِ . غاديا في الجوّ . خَفَّتْ مُهْجتي . فالمياهُ قصائدي . و الرمالُ . و الأمواجُ . كَنَسيمِ لفظٍ . ساحرٍ . و الشواطيءُ .

كلُّـها . تجـري . راياتُـها الشعرُ . و ألحـانُــها نَـغَـمٌ . و رحيـقُ صَـفْـوِي .

و الزّمنُ . يالفظي . و يا زمني .

رَدّ ابـن الحسن .

قال

«يـا عبـدُ لا إذْ نَ لَــكَ ثـمّ لا إذنَ لَـكَ ثم سبعــونَ مرّةً لا إذنَ لَـكَ أنْ تَصِفَ كيف تـراني و لا كيف تدخلُ إلى خـزانتي و لا كيف تأخذ منهـا خواتمي بقدرتي و لا كيف تقتبس من الحروف حرفا بعزّة جبروتي » .

قال الراوي .

هو ذا الخاطرُ . من أعالي البرُجِ . و الكونُ أخضرُ . والأشعّةُ بازغةٌ . و الخالدُ . تَـجري مياهُهُ . و الصَّحْنُ يدورُ . و قلب البرجِ ثابتٌ يرسـو . و نحن طَوَافٌ . و كـذا الدنيا . بنا . تمورُ . و الخاطـر سائحٌ . واختصرْنـَا الزَّمَنْ . مِـنْ عَلَىَ البرح . و قلنا قصّةَ الألَــمْ . وَحكَـتْـنَا أساريـرُ البِـلَى . وَصَفَا الخَـلُّ . وَ سِيقَ الدّهرُ مِنْ جيدِ ه . و قيل للكون . حَـلِّقْ بنا . وكَانَ الذي . قدأفصـح بإعجازه . وجـهٌ . كالصامتِ . ولَـحْـظٌ . كالتّائِـه . وبريـقٌ . خُـذُوا الدنيا و هـاتـوهُ لِـي .

أجـاب :

« وقـال لي تَعـرفُ الأسماءَ و أنتَ في بَــشَــرِيَّــتِــكَ . يأكل الخَــبَلُ عَقْـلَـكَ . وقـال لي لِـيَحْذَرْ مَنْ عَرَفَ أسمائي من خَبَلِ عَــقْلِه ثم ليحذرْ

مَنْ عَرَفَ أسـمـائي من خَـبَلِ قلبه ».

قالت :

عيـدٌ من الأعيـاد جاء مُصَـافحًـا. فـالمواليدُ شَتَّى. و الأعيـادُ بـلا حسـاب. وعيد اللفظ هـو العيـدُ. وهـو بمفرده عيـد الأعيـاد. مَوْلـدُهُ الـذّكرى. و الأعمارُ خـالدةٌ. أنـا اللغـةُ. أوقفتُ عَـدَّادَ الـزمن. أوقفتُ عقـاربي. كُبْـرَى و صُغْـرى. أوقفتُهـا. عطّلتُهـا. سـاعـة الـزمن. على الجدران. وفي المعـاصم. و على التّلاَل. كلُّهـا. سـاعةُ الـزّمن. سـاعـةُ التاريخِ. تجمّدتْ. في شرايينـها. دماءُ الـزّمنِ. أهدرتُـها. قلتُ للأيامِ. كما قلتُ لـلأعمارِ. هُـبُّوا. و تجمَّعـوا. هو البـدءُ و المنتهـى. و بـرازيخُ النُّهَى. و اليـومَ. أيا لغتـي. أيا ضـادي و جنـاني. أُهديك مـا أُهـديك. أهديك خاتَـماً. بالأَلـمَـاسِ مُشْرقَـةً. وَضَّـاءَةً. تُـحَوّلُ الأبصارَ عن وجنتيكِ. فأنا أغـار على وجنيتكِ. وأنا أخـاف الناظرينَ. الفـاتحينَ أفواهَ العيـونِ. و السابحينَ. كـالغرقَى. في لُجِّ الجمالِ. جمالـكَ القهّـار وقـد رَوَّضَني. حتى غـزاني. فأحببتُـه. و استطبتُ هزيمتـي. اليومَ أهـديكَ قلائدي. أهـديكِ. أسواري و مسـالكي. أهديكِ خريطـةً. مرسـومةً. تَسيحينَ بها في الأزقَّـةِ. في الأدغال. وفي الزوايـا و مـكامني. تتجوّليـن و الـمعطفُ في اليَدِ. و الشتاءُ بعـزّه. تتجوّليـن. و الشمـسُ بازغـــةٌ. و الغمامُ مظلّـلٌ. في القيظِ. وفي العواصفِ. في الحرِ و في الشتـاءِ. و في

كل زمنٍ . أهديكِ خريطتي . و مَرَاكبي . تَطُوفينَ . في بحر الهوى . وفي العـالم المسحـور . وبين شوارعـي . اليومَ أهـديكِ أغنـيَّةً بلحنٍ خالـدٍ . بـوَهَجِ الشوق . بكبريتِ الـوَجْدِ . أوقـدُ الشموعَ .

أهـديـكِ .

ما أهـديـكِ

أهـديكِ اعترافي .

قال .

« ياعبـدُ

الحرفُ نَـارِي .

الحرفُ قَـدَرِي .

الحرفُ حـتـمي مِـن أمْـرِي .

الحرفُ خـزانـة سِـرِّي .

يا عـبـدُ .

لا تَـدْخُلْ إلى الحرفِ إلا .

و نظـري في قلبكَ .

ونوري على وجهكَ .

و اسمي .

الذي .

ينفسح له قلبـُكَ .

على لسانـكَ (. . .)

فإذا أرسلـتـُـكَ إلى الحروفِ .

فـلْـتـقـتـبسْ .

حرفـًا من حرفٍ .

كما تَـقْـتَـبِـسُ .

نارًا من نارٍ .

أقــولُ لَـكَ .

أخرِجْ ألِـفًا من باءٍ .

أخرجْ باءً من بـاءٍ .

أخرِج ألِـفًـا مِن ألِـفٍ . »

قال .

إني زائـرٌ و أهْوَى . سـائحٌ و الوجدُ معي . راحلٌ وَ حَــقِـيـبَتِي .

شوقٌ وحبٌ و أحلامْ . شاعـرٌ . وأنـثُـرُ الدرَّ على الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

أيتها الكلماتْ .

هل تسمعـينْ .

هل تسمعيـنْ .

أنا ما تعلّمتُ أنصافَ الحلول . خُذيهَا أوْدَعيهَا . لا شيء بعد اليومِ أنْكرهُ . ولا أبِيٌّ على الأشجانِ يَنْكسرُ . أنْتِ اللغة . أنتِ اللغة .

قال .

« يا عبد .

ما قلتُ لَكَ ذَلِكَ .

حتى هَدَيْتُكَ لذلِكَ .

فرأيتَ ذَلِكَ .

رآهُ قلبُك .

وعرفتَ ذَلِكَ .

عَرَفَهُ قلبُك .

يا عبدُ .

ما لأفكارِكَ .

تنعطف على أفكارِكَ .

وما لِهمومِكَ .

تَبِيتُ وتُصبحُ .

في همومِكَ » .

اسميّةٌ

يُـحكَى أنّ امـرأةً من ذوات الأسرارِ كـانت فيما مضى لها من أيّـام العمر إذا تحدّث النـاس عَنِ الصَّـبَابَة تَأوَّهتْ. و إذا تحدثـوا لها عن الجمالِ تنكّـرتْ. و إذا جـاء ذكْـرُ الـرّجـال التفّت على نفسهـا . و انقبض منهـا الجسد. وامتدّت الخلجات . و ابتسمت . كـأنما تريد ضَحكًا يُلقي بها على مَدَد. و كانت تخلوكلَّ ليلة فـلا تنفكُّ هائمةً حتى يَـحضر لها من عالَـمٍ لا تعرف مَوْردَه رسولٌ يتمثّل إليها بهيئةِ نـافثِ الشّعرِ. فتخاله ملاكا مُلهماً.

و كانت تَـرْفُلُ بـه . فيقول . حدّثيني بالذي تَـجِـدينَ. و ماهي إلا رهبةٌ حتى تَـقُـصَّ عليه قصّتَـهَا مع الأحشاد. ثم تَـلْعنهم . فينصرف .

و في ليلة دَعَـتْـهُ فَـأبـَى. فَسكَنَـتْ إلى عزلتها . وقالت . هذا نذيرٌ . ولَـمْ تكترِثْ.

فلقد نال الزمانُ من عزمها حتى ارتاضت جَـلَـدًا .

فاستلقَتْ. وأغْمضتْ. ولم تكن من حولها الأنوارُ. وقالت . ما بالُ النـاس واهمينَ. ما من أحـدٍ يروح و يجيءإلا و أنـا عنده من أسعـدِ خلق الله . يـراني على خُلُقٍ يَفعل في النفـوس فعلَ الآخذيـن. ويَشهد مـا يعتري

الوجنةَ مِنّي . فَيُشْفِقُ إشفاقا يَعِزُّ عليه . و يراني على يقظة ليست كيقظة حَوّاءَ. حتى إذا ضاق أمري أبديتُ انشراحا . و ما هو بالانشراح . وإذا اغترَّ الناس بي أفَضْتُ عليهم من رحمتي . و النار تلتهب في جوانحي . أكتم الغيظَ . وأقولُ . قَدَري .

و مرّت الأيّامُ .

وازدادتْ الأيّامُ .

و أبرمتُ في دُنْيَايَ عَقْدًا قلتُ لا ينصرمُ .

هي ذا الحياةُ .

أنسْتُ بَشرّهَا .

حتى قلتُ هي لي . وهو منها .

أقْبَلُهَا كارهةً .

و أطَهّرُ ما تَجيئنِي به .

أغْسلُ الأدرانَ .

وأصْمُتُ .

وارتضتُ بها أنا عليه . وارتاض بي . و أنساني اليأسُ كلَّ أدعيتي . فلم يَبْقَ لي منها إلاّ دعاءٌ كنتُ أردّدهُ كلما حَلَلْتُ بين السّواد يَغْدُونَ و يَرُوحُونَ . فأقول . اللّهمَّ إن الصّمتَ عبادةٌ . اللّهمَّ إنّ الصّمتَ عبادةٌ . و كنتُ أحرّكُ به لساني . و لايُسْمَعُ لي منه صَدًى . حتى كَشَفَتْ أمْرِي

كاهنةٌ . فَلاَ بَسَتْني . وَ قَرَأَتْ تَمَائمَهاَ . تُميط اللّثامَ . و أنا في عزلتي . كأ نَّ بيني و بينهــا الأمَــدَيْنِ . و كنتُ أقــولُ . إنْ هي إلاّ واحــدةٌ من السواد .

فَحَمْلَقَتْ و زمجرتْ و اعترى و جهَهَا الغَضَبُ و انبثق من مقلتيهـا شَـرَرٌ كاللّهَب . و قَبَضَتْ على مَرْفـقي قبضةً أوجَعَتني . وما حَلَّ بالنفسِ أعظمُ . فرجعتُ نفسي إليهـا و كأنها من الأدغال . و سـافرتْ بي فقطعتْ بَرًّا في رَحِمِ الأمزاج . ولما رأت في عَيْـني بريقا اطمأنّتْ و ضَمَّتْني إليها . ثم أمسكتْ مني الكتفين و تنحّتْ بوجهها عن وجهي و أســدلتْ ثــوبي و ثوبها و طأطأتْ بـالرأس و انتظرتْ حتى فعلتْ فعلها فقـالت في صوتٍ حنينٍ كأنـه آهـةُ الـوضعِ تتلـو أنّـةَ الأوجاعِ والأمُّ يَـقْظَى و الـوليـدُ على الفراش : سيأتـي من يُبَدّلُ حَالَـكِ و لا تَـشْعُرينَ .

و مضتْ و تركت في نفسـي ما إنْ سألـتُها عنه حارتْ جـوابـًا .

ونَسِيتُ أمـرَها .

ولا أذكر لها إسما .

ودارت الأفـلاك . ولا يمـزّقني الآنَ أمـرٌ كما تمزّقني غفلتي عنهـا . تتآكلني الحسرةُ أنْ فرّطتُ في حبل الأسباب لها . وَعَليَّ ملءُ الأرض لو أنّ بصيراً أرْشَدَنـِي اليومَ إليها فأضُـمَّهَـا وأقَـبِّلَ منها الجـبيـنَ .

سَدادٌ

مِن النـاس مَنْ يُـفْــتَنُ في مَالِـه . و منهم من يفتن في إيمانـه . وقـد يُمتحن المرءُ في بَدَنـه . وقد يُـبْـتَلَـى في عقله . ولقد فُـتِنْتُ في كلمـاتـي . و الفتنة دخولٌ إلى النار تَصْـهَـرُ الذّرّات و تَصْقُـلُ فتخَـلّصُ من الأدران .

و العشقُ فـتـنةٌ للمرء فإذا المـرءُ في عِشْـقِـهِ فـإمَّا إلى انتحارِ الذاتِ بِحُبِّـهَـا و إما إلى خلاصها به إلى الأبَــد .

فَـأنعِـمْ بها من فـتـنةٍ إن كان الخلاصُ مـآلَـهَا .

قالت الكلماتُ :

تَـاللَّه إنكَ لمحبٌ لِـنَفْسِكَ . مُغْرمٌ بها . مفتـــونٌ فيهـا . متهافت على ما يُـرضيها .

قال :

إي وربِّ السّماءِ .

قالت :

ألا تراكَ متعلّقا بحبّ من أحبّكَ أكثرَ مما أنت هائمٌ بمن أحـبّك .

قال :

لستُ أدري . ولا مُنَجّمَتي تدري . ولكنّ الذي أدري أني ما عرفت نفسي إلا يوم عَرَفْتُك . عرفتُها في سرّها وفي نجواها . عرفتها على أسْنَامِ قوّتها وفي سُفُوحِ ضَعْفِهَا . عرفتها في كبريائها و في انعطافها . وفي خُيَلاَئها وزهوها كما في لينِهَا و انسياب أطرافها .

رُحْمَاك .

رفقًا بالرِّضَى .

رفقًا بلين الحُلَماء .

وسأل ابنُ دُلاَمَةَ أمَّهُ عن سعير الغضب فقالت :

الغضب فتنةٌ فلا تصطنعْهُ . فإن غَلَبَ عليكَ في خيرٍ فَهُوَ خيرٌ فاستعن به على تطهير النفس من أدرانها وَ صَفَاء السريرة من غَلْوائها .
و العُشّاق أشدّ الناس غضبا و أسرعهم إليه فلا يلومَنّهم أحدٌ فيه . وإنما ترى الواحد منهم يُكَابر فَتَعزُّ عليه نفسُه حتى يسوء ظنّه بالعشق فلا يَعْلَمُ الناسُ إن كان عاشقا أو كان مُصَانعًا حتى إذا غَضبَ انكشف الغطاءُ وانجلت الحُجُبُ فَبَانَ منه ما كان مُختفيًا .

قالت دُلاَمَةُ : وهذا من أعظمِ أسرارِ الغضب و من أجَلِّ فضائله .

ثم سألتُ بركانَ الغَضَب :

مَن أشعل نيرانَكَ . من أضرم لهيبك و أطال حريقك . من ياتُرى أوْقَدَ تَنُّورَكَ و فَجَّرَ أفرانَكَ . و من الذي سَلَّطَكَ فأمسكت بي

و استعبدتَ فؤادي . ومن أوْقع بيننا فَرِكبتَني كصهوة الجيادِ .

قال :

لا تسألْ . فَحُمَمي تُخْصِبُ الأرضَ فتتدفّقُ بها حُبلىَ وَلُودًا جنينُها الحبُّ يُبعث بعثا جديدا . وتُسقَى بِرُغَائِهاَ شرايين القلب فَيَنْبُضُ بما كان يَنْبُض به حتى الأزلِ .

قلت :

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

لبّيكَ يا غضبي .

حَرْفٌ

سئل الملائك أنّ أهل الأرض قد استحدثوا من الأنا لفظا أطلقوه على من أحبّ نفسَه وآثرها على من سواها .

قالـوا : دأبُ أهل الأرض عصيانُ خـالقهم . فقد وَضَعَ لهم الأنثى ولم يجعل لهم لفظا . ووضع لهم اللغـةَ وجعلها أنثى .

هي تُـحِبُّ فلا حبَّ كحبّها . و هي تتهافت حتى لهي إلى الفناء عالقة بـالعَدَمِ . ثم هي تُـحِبُّ حُـبَّهَـا . كحبّهـا من أحبّهـا . تَـلُوكُ اللّفـظَ . وتَعْلكُ الأوصافَ . وتُـحَـلّـي الـمَـرَاهِمَ. وبيدها تَـصنع الْـبَـلاَسِمَ. تُـضَمّدُ ماحَـفَـرَتْهُ علىَ الجَسَـدِ. وتُـواري مـا نَقَشَتـْهُ على الـرُّوح من الـمَغَارِزِ.

مملكـتُها من هـروبِ الناس عن أحـوازهم . وعـرشُها من خـوفهم المكرَ واتقائهم مذلّـةَ الأسْـرِ وسـوءَ الإفصاحِ. والقوّةُ لها أنْ تُـمسكَ بمن حَـوْلـها من مقابض الـوَهَـنِ ومَـرَابِضِ الأوجـاعِ .

عَـلّمَـهُمْ بعضَ ذلك أبوهـم يـوم نزل إلى الأرض ونزلت حوّاءُ فراح يبحثُ نهارا ويَسْـتَجِمُّ ليـلا . وظلت سـاعيـةً بـالليل و النهـارِ حتى إذا

تصادفا على الجبل أمسكتْ حيث كانت . وجرى مهرولا . فَأخبر صادقا .

وقالت : منذ السّماء لم أبرح موطئي .

وما نَسيَهُ الأبُ أكْمَلَهُ الأبناء . فتفنّنوا في الطاعة ومهانة السؤال . وكلّما أمْعَنَ الواحدُ منهم ظَنَّ نفسَه الفتى وهو الطفلُ لا يَبرح أعتابَ المَرَاضِع .

أفّ لرجال كأشباه الرّجال .

وَسُحْقًا للأطفال يجودونَ بغير ما يَطْلُبُ الطالبُ. وَهُمْ على الوهمِ أنْ قد جادوا بما يَطلب الطالبُ.

وتَبًّا لصِبية يَبخلون بأيَسرِ ما وُهِبُوا وهو الكنزُ المطلوبُ و المُبْتَغَى الموعودُ.

فكَتب كبيرُ الملائك على بعض ألواحه :

لو كانت الأنثى ذَكَرًا و الذكر هو الأنثى لاشتكتْ منه إليه أكثر مما يشتكي اليومَ منها إلينا .

خُلقَ الإنسانْ ما أكْفَرَهُ.

ليته اكتفَى بما خَلَق اللهُ ولم يَستحدثْ لفظًا .

فتنةُ هذا من فتنة تلك .

دَلاَلَــةٌ

يالغـتي . ياشـاعرة .

سمعتُ فيما يَسمع النائمُ هـاتفا جاء يُـخْبرني أنك يـوما ضحكت . وارتفع منك الصوتُ . وأنا غائب . فلما رأيتُـك وعرفت ماجاءني أرسلت أنصافَ الجُـفون . وتوسدت ذراعي . وطلبت الأناملَ . فراحتْ تهدهدُ . ومـرت على الـوجنـة . فـاعتلتْهـا حمُرةٌ لم أر في حيـاتي لـونها . وأطبقت النـواظـرَ . وهمّتْ بفمي منك الشفـاهُ . فأبطأتُ بــك . حتى فَـزعْت . وجلَـوْت الأبصـارَ . مُـحمَّرةً . تتبلّل . فـأرسلتُ فمي . فطلبت ظـلامَ الصّمت . فأعطيـتُـك نورا . وأشفقتُ عليك .

فناديـت :

ظمأى إلى لَـفْظكَ أُنْـشدُهُ . ظمأى إلى نخلكَ أقطـفُـهُ . الحرفُ نَبضٌ و الـمـدَادُ على الصَّــدَى . و النفسُ حَرَّى . و البـوادي . ولـواهفي . كـؤوسُ المفــازات تَــقَاطَرُ كــالنَّـدَى . ولسـتُ أدري . هل في اللفظ مَـصْـرَعُنَا . أم القلوبُ على الأوتـار ترتجفُ . أم السرّايا . أم الأوجاع على الأفواه تبتسم . مَفَـاتن اللفظ تهادت . ويسترقُ المنادي . ويعيـد منشدا .

إلى اللفظ الرقيق أنـا الظمآنُ أقرأهُ إلى الحرف الجميل أنا الفنـان أصبغُهُ. إلى الـوجـه الصَّـبُوحِ. إلى النور المضيء . أنـا اللّهفـانُ. لهفي على الأشعـار أغْـزلُـهَـا . وعلى الضفائر . تَـمرّ يَدي. تهدهدها . إلى سَعَف النخيلِ. أليـافٌ مُذهَّـبَـةٌ. خيـوطٌ تترامى . بأصبـاغ الحروف . إلى الكلمات. بمسك نَـدَاك . أملـؤُهـا . إلى خفقـات القلب . أسمعُهـا . إلى نَبـَضَات اللَّحظ. وهـو يرتعش . إلى الوَجَفَـات . أرْقُبُهَا . لهفي على لغتـي . حبّاً يعانق الألفـاظَ . مُذْ بَـزَغَتْ. نجمةُ الأعراب فـاتنةٌ . رَبَابُـهَا الشعرُ. وهي نائيـةٌ. فمتى الألفاظ تـزدهرُ. ومتى الأمصـارُ تقترب. وتزولُ عن لغتي الشكوكُ. وينطلق اللسـانُ مُـجَـدَّدًا. فَـتَقْـتَـرِبُ الأمصارُ. وتُلْقَى على الأبحارِ. جسـورٌ ذارعاتْ. تَـلُـفُّ الـمَخَاصرَ. قـدودًا مائسـاتْ . ويلينُ لك الطَيفُ العنيـدُ. و الشعـرُ أكبرُ. كم في اللفظ من عَجَبٍ. ملْءَ القلوبِ. كـوحدة الأوطـان في وطنٍ. ياوحـدتي . ياوطنًـا. يالغتي . لا الشعـرُ منك يُرضينـي . ولا الإيقاعُ بعيـدًا عنك يَـرْوِينـي . ولا الكـونُ يَـصْفُو إلا متـى الألفاظُ تَـتَّحدُ. وينبـثـقُ اللفظُ الكبيرُ. فمتـى الأجراحُ تندملُ . ومتى الأطيافُ ترتحـمُ . فيؤوبُ لي رُشْدي الذي . على صَفَحَات اللفظ ينتشـرُ. وبين ضِفَـاف النخلِ . يـزدهـرُ. وتـؤوبُ لي لغتي التي . كألف سَنَى في ربيـعِ عُـمْرِيَ تـأتَـلـقُ .

تَرْتِيــلُ

إليكَ أيا سيّـدي .

إليكَ أيا ناطقـي . يا متكلّمي .

أنا اللغةُ . إني أنا العذراءُ وإن صُحبَتْ . مازلـتُ بجوهري المكنونِ هازئةً بـالشعراء . بالحكماء . بسخـائهم يُسيلُونَ من الأمهـارِ أوديةً . ومن الأشعـارِ أفئدةً . يَــجْرُونَ . وهم لاهــثونَ . وراءَ المحارِ و الأصـدافِ . حتى إذا مافَــتَحُوا . بابَ القلاعِ وابتَهجـوا . بالنّصرِ . بـالكسب . باللّـذةِ العَجْلَى . عادوا إلى نَشـوة اللفظ . على الأكتاف أرديـةٌ . من لُـجَـيْنٍ ومن ذَهَبٍ . والـوهمُ قَـاتلُهُمْ . فـازوا بـتلْكُمُ الأُنثَــى . وقـد كَسَــبُوا . كأسَ المواسمِ . والصّدورُ تُوَشّحُهَـا . دوائرُ الأذهابِ . ومافَطِنُوا . ومـاعَرَفُوا . مفـاتحُ القلبِ . في غير ما قَصَـدُوا . مفاتحُ القلبِ , والألبـابِ . سيّدُهـا . أميرُ اللفظ . فارسُ الأحلامِ . صانعُ العشـقِ . نَاحتُ الأمثال . إلى البيانِ . وفتنة الكلماتِ . كلُّ العَذَارَى . والطائرات . والفراشات . تَـنْجَذبُ . حتى تـذوبَ . بضـوء النـورِ . بنـار الوجـد . وتُعْلنُهَـا . وتقـولها . على طـولِ الــمَدَى . إليكَ يا مَــلكي . إليكَ أيـا سيّـدي . إليكَ . أنا العـذراءُ . إليكَ

دمي . فـــارتشفْ على قَدَحٍ . واسقنـــي من دمـي . فـلا النـــارُ وأنتَ مني بحـارقـة . ولا الأنـوار في غيرِ وَجـدكَ سـاطعـةٌ . فـالنـورُ أنتَ . و النـارُ وجدُكَ . و اللهيبُ . لهيبُ لفظكَ . وأنا فيكَ فانيةٌ . فلا تَـرْحَمْ . عليكَ بي . عليكَ بي . فذاتُ الأشجانِ تأوَّهَتْ . فَشكَتْهَا الـزَّفَرَاتُ . مُرْهَفٌ قَـلْبِـيَ و الأوجـاعُ تلتهبُ . و الصــوتُ مُنْخَنـقٌ وتلكمُ الأنفاسُ . ويجثـــمُ الخَوفُ . داعيًـا متبتّـلاً . ويلـوحُ في الأفُـقِ الـمَرَامُ . الأزهـار تَلْمَسُني . وأشجـارُ الـربيعِ . والصـدرُ مُنتـزَعٌ . والطّـائرُ الخفَّـاقَ . أوّاهُ يَشـدُّني . جَنـاحَـانِ في كَبِـدي . و السماءُ . و الغـربُ . و الشَّـفَقُ اللّمّاعُ . وبحـار الموجِ . وتهـاليـل الصّبـَا . و الماءُ مُفتـتنٌ . وتُشرقُ الشمسُ . هـاتـوا الفَـنَاءْ . هـاتوا المغاربَ . ولْـيَسْكُتِ الصوتُ . ليمتـدَّ الـهَوَى . والرَّجعُ قادمٌ . وفي الليلة الظلماء . يَصْمُدُ الثائـرُ . ويثوبُ الصابرونَ . والتائهونَ . و العـائدونَ بِـرَجعِ الصَّـدَى . و الـمُقْسِمُونَ . تـالله لراجعـونَ . وليلـةَ الـرحيلِ . دموعٌ ذارفـاتٌ . و الكُحلُ مغتسلٌ . وأوديـةُ السَّـرابِ . تَقـرأُ الكفَّ . قلـوبٌ وقلـوبْ . ستائرُ الـرّوضِ . وألـوانُ العطـورِ . أعناقُهـا الجيـدُ . والروابط تلتـوي . وتزهـو بها الأشواقُ . و الأيـادي الواثقـاتُ . تُغـازلُ الثـوبَ . والمرآةُ بـاسمـةٌ . وتَـــخْجَلُ العينُ . ويمتـدّ الحديثُ . والخناجر واجفاتٌ . وفي كلّ صباحٍ . وثـاقٌ جديدٌ . وروابط الأعناق قيدٌ محبَّبٌ . وتحلو الملابسُ . و النواظرُ سائلاتْ . خفّفِ الوطءَ . أفلا تُغَنّي .

ويحتفلُ الجمعُ. وَيَطْلُعُ البَدْرُ . ويصيحُ بالْـمَـلإِ الوَدُودُ. ما بـالنا نَـقطع الأيدي. فيوسفُ هاهنا. وزُليخاءُ اليَمَن. على العرش مالكةٌ. والصرّحُ الممرَّدُ. و المليكُ الشامخُ . لُـجَّةٌ من قـوارير . ويَدخل التاجُ. ويأتي على سَبَإٍ . يـوسفُ و الأميرْ. وتأتي الهُوَيْـنَا. وتَـحْمَدُ العَرشَ. داعـيـةً. أفّ لهـمً . فيوسفُ أنتَ. وأنت السُّـليمانْ.

لَـهْجَـةٌ

أيتهـا الأنثى. مـاأنت إلا لهجـةٌ. صَـه. لك عنـدي صـورةٌ . لاتتحـدثي . أخشى عليهـا . أنْ تتـدحـرج شُـرُفَاتُـهَا. فـاسْكُتي . ستَـنْزَفِينَ دمًا. ستَشْقَيْـنَ عذابًا. سَتَسْـأَلِينَ المرآة كلَّ صباحٍ . أكلامي . كان نزوةً . أم كانت لهجتي . أم مَسكَني. أنا التائهـهْ. عرفتُ الأحوالْ . كلَّ الأحوالْ. في مَطْلَعِ الكون. انفجـارُهُ الأكبرْ. في بدء الخليقة. كَلمَهْ . وآدمُ كَلمَـهْ. وحـوّاءُ. و الشعـرُ. كلمـهْ .وبـدايتي . كـانت. كلمـهْ . فعشقتُ الكلمـهْ. على جـدار الصّمت. كَسَـرْتُ قلمي . بين الهواتف . ضاع صـوتي. ماخلتُ أنيّ قـد أتوبُ. مُدْمِنًـا كنتُ. فاقـدًا حسَّ الإباءْ. فتعجّلتُ الغـوايـةَ. واستَطبتُ من الهوَى. ونـاديتُ بـالأحضـان. أيتهـا الدواهي. إني لَـأنتحلُ القصائدَ. مستلذًا بدمعها. كاظمـًا لغيظ الشعرِ . ألْوِي اللّهاةَ. وأغَـصُّ. كمنتحرٍ بسيـوف اللفظ . مُرَاوحًا بين الدعاءْ . لَزِجًا. مُـفَاخرًا. مكابرًا. طَلَبُ الشهادةِ. ليس يَعْني. أنْ نموتَ . طلبُ الشهادة . أن نَعيشَ. وأن نَـرَى جنينَ الهوى. تفتكُـهُ الأيـدي . ويُودَعُ . سَلَّـةَ التاريخِ. مُهمَلاً. و الـمَقَابـرَ.

ألا فانْـضَـرِمي أيتهـا النارُ. ألا فَالْـتَهِـبي . مع الفجـرِ . وعنـد الغَسَقِ . وانبلاجِ النـور . والخيطُ الرقيـقُ . ساطـعا يتسلّلُ . و القُرص الأحمـرُ. والكوكبُ الهـادي . و الأفلاك هـائمـةٌ . ويَـخرج السـاعي . حريصـا . مؤذّنا . قَطَرَاتُ النَّـدَى . تُبَـلّلُـهُ . وليس يدري . متى يتصبَّبُ الطَّلَـلُ . أو يترامى الـرَّذاذُ . الحقلُ عائمٌ . و البـاسقاتُ مـزارعُ ومفاتنُ . سرابيلُها الخُـضْـرُ . فوّاحـةٌ بشَذَى اللَّواقِحِ . و النخلـةُ الحوّاءُ . عطرُها . يأتي السَّبايا . فَـيُـنْـشِـدُنَـهُ . وتمضـي بُرهـةُ الفجرِ . ويعلو من الأشعة . همسٌ كهمسة الأقراص . وهي واجمةٌ . تَـتَحَفَّزُ . تـدعو إلى الظلّ الوَريف أناملَ الفيضِ . مَسْلاَةٌ كفراديسِ الشَّـجَى . ويأتي صباحُ الفجرِ . ويَسْكُنُ الكونُ . و البـدرُ يَنحجبُ . وتحتفل الأفلاكُ . و الخلُّ بخـلّـه . وتَصْدَحُ المآذنُ . بصوت قَراحٍ . ألاَ أيتها الشمـسُ . انكَسفـي . ويَـنْسَدلَ الظلامُ . وترتعش القلوبُ . معصوفةً . منها الرُّضابُ . يتصبّبُ . و الأيكُ محفوفٌ . بزَهْرِ الجنـان . وردًا عـبيقا . تائـها في الـروض يتلـوهُ النَّدَى . واللَّحْنُ . كَشفَاه الصوتِ غامزةً . يَعْـلُو . ويَـخْفُتُ . مُنشدًا . ومردّدًا . أوّاهُ يازَمنُ . قفْ هاهنا . عليك بنا .

لو تَسْكُنُ الأفلاكُ سَاعـتَـنَا . ويـؤوبُ من ساحر الألوان . طيفٌ . خذ بيدي . فالأناملُ داعيةٌ . يأتي الرحيقَ دبيـبُها . ويَنْبلجُ السعيرُ . كألسنة اللُّـهَابِ . مالي أراكَ مسارعًا . فالعُشْبُ أخضرُ . و الرُّواءُ مكابرٌ . أنساغهُ

البكْرُ. عيونُها . تفيض من غَسَقِ الفـؤادِ . جداول اللفظ . كظـلال عرشٍ عنـد الأصيل . عنـد الفصيحِ . عليكَ بي . تبـرًا فتبْـرًا . هاتـوا البرايـا . كالمفازات التي . بها أمَلِي . بها لَـهَفي . لا تُوصدُوا البابَ . ولا الجداولُ ترتوي . إلاّ مَتَى . تُصيبُ الوجدَ . و الريحانَ . ونَرْجَسي . فُكَّ العقالُ . وأُطْـبقَت الجفـونُ . وتحرَّكَ اللفظُ . لـو نطق الطيـرُ بـه . لأمْطـرَ القلبَ بإعجازه . بـإيثاره . بلحنٍ كجوَّاد الـمَرَا طب و النُّهَى . فيكَ الـرحيلُ . وصحراءُ أرضي . هضـابهُا . وتلالُـها . مُـخْمَـرَةٌ . أحببْتُهَا . منـذُ فجرٍ تائه بين الحنـايا . فضاؤهـا الرَّحبُ . يلوذُ بمَعْـبَدي . بالغابـة الوَعْـثَاء . بـالعطرِ العنيف . كسهـام نبلٍ . قوسُهـا . فاسكُني . فـالغيثُ آت . ومن قَبْـلنَا . عَطَشُ الظّمآن سُـلاَفُنـا . فَلْتَظْمَئي . أوَجْـدٌ هـائمٌ . أم جنـونُ الرّاشدينَ . القادرينَ . الفاتحينَ أقفالَ السرائرِ . و القائلينَ . إنَّ الفتى . أنَّـى أتَـى . وارتمت الأطـرافُ . وعلى الرُّبى . يَنتكس الـمُكابرُ . غُـفْرَانَكَ الـذّنبَ الـذي قـد تَأبَّى فَسَجَـا . وأقسمتُ عليكَ . بلهجتي . بـالـذي أسْـعَـرَنـي . خُـذْنـي إليـه . على الـميناء راسيَــةٌ . شراعُك بيـدي . رايـاتُنَا الحمـراءُ . بيضٌ . على شـاطئ الـزهو ترسُـو بنـا . مُعَسْكَرُهَـا الجنـونُ . وصـوتٌ ساحـرٌ . طُـوبَى لِـمَن بِـنارِكَ يَصطلـي . يـا مَن يَصطلـي . وعلى جِمَـارِكَ يَلتوي . وفي نهرِكَ الفـوَّارِ . أبـدًا لا يرتوي .

شَــدْوٌ

قُبيلَ الفجرِ. تيَقّظَ حسيّ. فـأفقتُ ثملاً. وتوهمّتُ نـوما. سـافرتُ فيـه. لا يَـرُدّني وقتٌ يمضي. ولا أرضٌ حَـزَنٌ. حتى إذا. مـا بلغتُ النُّـهَى. خلـوتُ إلى الحبيبِ. مهاضبًا. أجُسُّ إليه الطـريقَ. بين المعاطف مترفّقـا. أدنو. ثُـمَّ أتوقّـفُ. فيأخـذني التّـوْقُ. ثُـمَّ. يَصُــدُّني. هَفيفُ خَوْفٍ. كـالرّعشة نَخْشَى بها. أن ينقضيَ الـذي بنا. فأعـاودُ. فإذا الذي بِـنَا. بعضُ ما بنَـا. تَـمرّ أنَاملـي على الصّحائـف. فيـزهو اللفظُ متلقّفًا. وتنفتحُ المعاني. مُعَانـقَـةً. كاللّغو البعيـد آذاه الحنينُ. إلى وطنٍ. فَحَـلَّ به. يُـقبّل أرضَه. ويُمَرّغُ الوجهَ على الكلمات. يَستنشق عبيرَ الـمَـرَافىء. يهفـو. كصبيّ إلى الـمَحاضن. وسمعتُ اللفظَ يشدو. فـانسـدلتْ على الـوجنتينِ. مَعـازفُ الشكـوى. وأحسستُ أنّ الكـلام يتظلّم. يـريـد أن يُــفاتــح. فلا يُـفصِح. ويَـئِــنُّ أنيــنًا يَـعَـضُّ فـؤادي. فأردّدُ لــه الصَّدَى. أباكيه بالدمع السّخي. ثم أضْــغطُهُ بين الحناجر. فَيُسْلِم أنّةً. تُنادي بـلا مَلَل. فأحتضنُ الألفاظَ. كأني مُـلاَثِمٌ. ومُقَبّلٌ. ثم أعتصرُ اللّفَـافَ. هفًّـا كأنـه المعنى. أبْخرَةُ الـرُّوحِ. تُصَاعدُ الأنفـاسَ. وأتركـه

يفيضُ خوفا . يكاد يَغْضَبُ. حتى إذا ظَنَّ الكلامُ. أنّي مُعذّبُهُ .
تسلّقتُ الهضابَ . في يَدي الألفاظُ. وأمسكتُ تلاَ لَهَا . عنيفًا كأنيّ ظالمُ.
أجُسّ. ثم أمسكُ قابضا. ثم أضْغَطُ . لا يؤوب لي حُلْمٌ. ولا يراودني
الإشْفاقُ. أثبّتُ الحروفَ على الصحائف . بين السطور. أوشك أن أقتلعَ
ما بَدا. وماخَفيَ. وأنا بين زفرة و أنين. و النارُ تَوَقّدتْ. من طوق .
وخلا القلبُ. إلا من لهيبِ شوق . كالمعنى يَتَخَلَّقُ . أسمع أزيزَهُ.
يعلو. ويعلو. ويَلهَفُ. صائتا و مغرّدًا. رحماكَ إغاثتي . أدرِكْني. مَدَدًا.
مددا. لا تُشفقْ. ضفافي موطنُكَ. شفاهي عبيرُكَ. مكامني أسرارُكَ.
وحين توسدتُ اللّوْحَ. وَ أسْلمتُ إلى اليراعِ. ذراعي . وفاض اللهيبُ.
وتوجّس الكلامُ نقمتي. صاح بنفسه. يَجْلِدُهَا :
تبّا لساعة كَفَرتُ فيها بنعمتكَ.
سُحقًا لغفلة زاغت برُشْدي فضيَّعتْ حبّي.
رَجْمًا ليوم خلتُ فيه أن أكون غنيّا. فَطلبتُ إليكَ هجراني.
وكابرتُكَ فيه. ثم أصْرَرْتُ على الفُرقة أعلّمُكَ فيها الدّرسَ.
لا حملتْ بمثلك أُمّ أيُّها الماردُ الذي هَمَسَ في كبريائي همسًا
انتفَخَتْ به أوداجي خَواءً فاختلط الدَّمُ النقيُّ بوعثاء الضّلالة.
أيها الإلفُ الحبيبُ. ما أنتَ إلا مَن عرفتُ. ما أنتَ إلا أنتَ.
وَسَجَا الرفيقُ. فتلَمّحتُ في العين دمعةً. كَشَهْدَةِ العسلِ . خلِتُها

نذيرَ مَنـاحةٍ. فارتشفتُـها. فكانت قَـطَرَاتِ الجَـوَى. تُسَاقِي فَرَحًا. أبَـدَ الدهرِ. كدمعةِ الأنثى ليلةَ زُفَّـتْ إلى الحبيبِ لم تَعرفْ قبلَـهُ حبيبـًا ولا تخالُ بعــدَهُ.

ثم سكَنَ الفجــرُ. فَنمْتُ. وسمعتُ الكلماتِ يُــرَتِّــلْنَ تســابيحَ الفداءِ. وسمعتُ إحـداهـنَّ تـنادي من بعيدٍ:

كنتَ حبيبـًا يـومَ عرفـتكَ.

وكنتَ حبـيـبًا يومَ استشاطَ غَضَـبُكَ.

وكنتَ ألفَ حبيبٍ يومَ لم تَـهْجُـرْ ولم تَـنْـقَـمْ.

فَمَنْ لي بالسماءِ تُـعينني على نفسي كَيْ أخْلص لنفسي.

ومن لي بأحمالِ الأرض تُــعينني على رضـاكَ منــذ بُحتُ لك: إني خالصـةٌ لكَ من دونِ الكلماتِ فَصَــدَّقْتَـنــي وكدتُ بعــدَها أن أكْـذِبَ نفسي.

فعهَـلاً قبلتَ مَتَـابتي.

هـي خـالصـة خـالصـة.

وأنـا الخـالـصة الخالصة.

جَهْرٌ

الواحةُ جنانٌ تسقيها المياهُ . و الجزيرةُ ديرٌ كصلاة الآمنين . و الربَّع روضةٌ ترتجفُ فيها قلوبُ الخائفين .

إذا قَطعتَ زهرةً فَتَذكَّرْ مَنْ سَقَاهَا . وإذا وقفتَ على الأهرامِ فلا تَنْسَ مَنْ ماتوا وهم يجُرُّونَ الأحجار .

استَلَّ السّنجابُ قطعةً وانزوى بها في المغارة خائفا ثم خرج يمشي واستوى على الغُصْنِ وتَمطَّطَ فَرْوُهُ فكأنّه لم يعرف الجوعَ يوما .

الفتنةُ أن تُلْقِيَ بالأجسادِ في التّنّور تَصطلي و الافتتانُ أن تَضَعَ اليدَ من كفّها على الجمرِ فتكتوي فلا تَصْرُخُ ولا تستغيثُ .

كان شعب من الشعوب مُغْرَمًا بالأمثال ينتهج فيها نهج الصُّوَرِ و التمثيلِ وكانوا يقولون : الرَّجُلُ كالرأس و المرأةُ رَقَبَتُهُ يَخال أنه قد تَربَّعَ عليها جالسا وما يدري أنها هي التي تُدِيرُهُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشّمالِ .

إنْ يكُن الأبُ ناظما والأمّ للأزجال قائلةً فلا تلومَنَّ البنتَ إن فاضت بالشعرِ أقوالُها .

الهاتفُ رسالةٌ و النظرةُ خطابٌ و الصّمتُ إبلاغٌ و الرحلةُ كتابٌ وقضاءُ الليلِ سفرٌ من الأسفار.

لشركات الكمبيوتر شارات . من كُبْرَياتها واحدة اختارت صورةَ تُفاحة مقضُومة. قال قائل: هذا من الفن الرمزيّ. وقال آخر: هو من الرسم الجديد. وقال ثالث: هو مما بعدَ الحداثة. وقلتُ: لو لم تُقْضَم التُّفاحةُ ما أُكلَتْ ولو لم تُؤكلِ التفاحةُ ما نَزَلَ آدمُ الأرضَ ولو لم يَنزلْ ما كانت حياةٌ.

السَّحابُ قد غَشيَ السماءَ . وَأذنَ المُزْنُ بماء هاطل . فَجَاءَ رعدٌ . وجاء برق. وعَصَفَت الريحُ بما عَصَفت. وانتظرنا الغيثَ. غيثَ السماء. إيّاكَ أن تحوّلَ أمل اليوم إلى اليأس من الغد وإذا شَقيتَ بها نفسُك فيه فاسعَدْ بما يَدُكَ عليه.

لخطوط الطَّيَرَانِ شاراتٌ . لهذه حمامةٌ. رَقَّتْ. وانسلَّتْ في الفضاء مجنّحةً. كأنما تطير. ولتلك غزالةٌ. تمدّدتْ. لكأنها. في عَدْوها. حمامة فرّت من أيكها. وللأخرى صورةُ طائر. من الجوارح. عَيْنُ حَدَأة وأجنحةُ العُقَابِ. مَخَالبُ النّسرِ و أزيزُ الصُّقُورِ.

الكونُ كائناتٌ. جمادٌ ونباتٌ وأحياءٌ. وصندوق البريد من خشبٍ ومعادن. مفتاحُه وكذا جدرانُهُ. جَمَاداتٌ. و النّخلةُ نباتٌ. إذا ماتت. وجفّ رُواؤُها. وقُطعت هامتُها. فجذعُها الباقي. وقدأيْبَسَ. جمادٌ.

ألفَ الجذعُ زائــــرَهُ . وعنــــد الهجــران. أنَّ الجذعُ واشتكــى . حيٌّ بين الأحياء. تَــمَّت الدائرةُ. وطُـويَ السّجـلُّ .

سيّدةٌ أمينـةٌ . جاءت إلىَ البنك. وفي يدهـا صكٌّ . تريـد صرفَه. فـاستلمتْ . ثم عادت. فقـالت . يـاسيّدي . ماأعطيتَــني . يفيض على القيمة. فهاكَ الفـائضَ . رَدَّ عليها الخازن نقودها. وزمجرَغـاضبًا : «أمينُ الخزانة عنـدنا لا يخطىءُ». فحارت برهــةً ثم أفاقت . آثَـرَ الإبـاءَ فأضَاعَ عَـفَـافـي .

الـبُـرْقُـعُ لجــدّتي . والخـمــارُ أمــومـتي . و القِنـاعُ لطـفلـتـي . و الحجاب لسيّدتي. و الهَودجُ هودجي.

أخذتُ المقـودَ. وسرت بسيّارتي. على الطـريق السّـيّار . ثم أضأتُ النور. يمنةً. وإذا بي أرْكَـنُ.

لقد ركنتُ على الشّـمالِ بمركبي .

النفس عـودٌ. و الظنون نيرانٌ . يَـدبُّ لهيبُها. استقـام العودُ أم لم يستقم. ولولا قيظ الشك. لما عُرِفَ برد اليقين.

في يـدي اليمنى وردةٌ. وعلى شفتي السفلى تَـــمرةٌ. وفي مســامعي لحــنٌ نجـيّ. قـد عـانق شعرا رقيقـا. والكفّ تـلامس بأنـاملها . مسّـا شجيّـا. ففاح أريجٌ. وعـاودني عَـبَقٌ. وساوَرَتْـني مَبَاخِــرُ الشرق. في قلبهـا عــود. وعلى المشـارف جمرةٌ . الخوفُ مـن الحبّ. كالخــوف على

الحبيب . كـارتعـاشـة البَـرْدِ الصقيعِ . كـالحمّى في شـدّة القيظِ . أحببتُ خَـوْفَكَ . أحببتُ جمرَكَ . عشقتُ قيظ حمـَاكَ . مثلَ ليلٍ هـادىء . مثل الظّلمـة في السكـون . يَـحَارُ القلبُ . يطـول السُّهـادُ . ليـس القـادم كالـمُرْتَـحلِ . ولا يومي يُشْبِـهُ يوما من أيام أمسي .

إذا زُلْـزِلَ العرشُ . واهتـزّت الأرضُ . بجبَالِـهَا . وهوى البنـاءُ . فَـقِفْ . صامدا . وقلْ . في صَمْتٍ . وفي جَلَدٍ . إنّـي هنـا .

هَـمْسٌ

هَبَّ نسيمٌ . وأنـا على سفح الجبلِ . أطُوف بـالوادي . وأهل الـرَّبع نيامٌ . فتعطّرتُ به . وفتحتُ جوارحي . طالبا . هل من مزيدٍ . وغَمَرَتْني رائحةٌ . حَرّكتْ سواكني . فنقلَتْني مما كنتُ فيه . وأخذتْ تَـجرُّني . حتى ظننتُ أنّني . أُحْـيِي زمنا مضى . وأمعنتُ في الرّحلة . متخطّيًا لحواجزي . متسـاميًا . كأنّ الجسم قـد خَفَّ منّي . وإذا أنـا . كَحُلْمٍ شاردٍ . أرْفُــلُ في حُلَلٍ . فعرفتُ أنيّ صادق .

طـائرٌ يَـرُوقُـهُ البحـرُ . وطـائرٌ يَـحْسُدُالسَّمكَـةَ . وهي تَسبحُ . وتقولُ . مَنْ لــي بمجدٍ . أو بسحرٍ . أو بِـقَدَرٍ . يأخذني . من الماءِ . إلى عنـانِ السّماء . فيَـهْوِي الطـائرُ . بَـرقًا صـاعقًـا . ومن أعماقِ البحـرِ . يأخذها . ويُـحلّقُ عاليًا . ومُفاخرا . قَـنْصًا شهيًـا .

خَلْوتي . كِـدتُ أخافُك . خلـوتي . لولا أنني . أحببـتُ ذاتي . منذ أحببتُ . خلوتي . منـذ أسرَّتْ لي خلوتي . منذ قـالت لي في عُزلة . للنَّـعيم لــذّةٌ . وفي الحِـرمَان لذّاتٌ .

أرتشف من الفنجان جُرعةً . جُرعةَ القهوةِ . حيثُ لا سُكّـرٌ . هكذا

أتعـمَّــدُ. أتقصَّـدُ . كلُّ الـمرارة في بـدايتها. ثم تنقشعُ. وقـد أوصَوْنـي بترك السُّكَّــرِ. ولستُ معتـلاً ولكنْ روّضـوني. وقـالـوا. هـو أفْضَلُ. وقــالــوا. ستغــدو القهـوةُ . حلــوةً. بــلا سكّــرٍ. حينَ تتعــوَّدُ. بها تَأنَــسُ. وتُؤَالِفُ . تَـرْكَ السّكّـرِ. ففعلتُ. وهـا هي ذي. قهـوتي. بـلا سكّرٍ.

قــالــوا. ما أسرعَ أن تحبَّ إمـرأةٌ . قــال. إذن. مـا أسرعَ أن تَنسَى النّساءُ. قـالوا. مـا أعجلَ أن يتحوّلَ رجلٌ. قــال. ما أهـونَ أن يتهافت الرّجال. فَــتَحَاكموا. قالَ القيّمُ. إذا عَـزَّ عند المرأة حبُّهـا . أمْسَــكَتْ. حتّى يطول عصامها. فإنْ هي أسْلَمَتْ. هَـانَ سلامها. يخالونها تتهاوى. وهي لا تتهاوى. قال . دكّـا لرجلٍ حديد. ليت أنَّـهُ. من ضلعها.

قالت . هذا يناديني. وذاك يصافحُ. وثالثٌ من أعالي الشرُفـات . يُطِـلُّ. مُــحَابِيًا. وأخٌ له. على الممرِّ الأسفلِ. يشيرُ مُغـازلا. يراودني. وأنا كما كنتُ أنا. وأنا هنا. أدعو وأبتهـلُ.

أفتح كتابا. أستلّ ورقةً. أقْضِمُ أطراف القلم . في انفعالٍ. في توتّرٍ. ثم أبحث عن مُعْجَـمٍ. عن قـامـوسٍ. ولســان العَـرَب. وقــد هَـدَأَت الخواطـر. فأقـرأ متنًـا. وشرحًـا. وحـاشيـةً. ثم أقتفي صلَـةً. تتلـوهـا الصّـلاتُ. وأعـودُ إلى المقعـد. إلى الأريكـة. والقلبُ فَـوْضَى. و النّفس سائحةٌ. وأسألُ. مَن أنَـا. ثم أستدركُ. ولِـمَ السّؤال.

على المكتب. نظرتُ إلى صورتي . وفي المرآة . تأمّلتُ صورتي . وعلى الهُويّة. وجوازِ السَّفَرِ. وفي المحافظ . رُحْتُ أقلّبُ. أقرُّ بهذه. و أستنكرُ هذه. ثم جمعتُها. وأعدتُ على المنضدة توزيعَها. وترتيبَهَا. وقلتُ . لو أختارُ من بينها . أوْ لَو أسوّي بينها. وانتبهتُ إلى السّاعةِ . في معصمي. فوجدتها تتحرّكُ. فلَمْلَمْتُ ما تَنَاثَرَ. وطويتُهُ. طيّا رفيقًا.

وكنت أحبُّ الموسيقى. كنت أعْشَقُ الألحانَ. و اليومَ أريد أن أغنّيَ. فلا صوتي يطاوعني . ولا الألحانُ ترتادني . فأعود إلى الأنغام أسْمَعُهَا. فيأبَى السّمعُ. وتتمرَّدُ. على إرادتي أذُنِي .

العشقُ . إذا سَمَا عاليًّا. العشق. إذا علا مسرعا . وإذا حلّق زاهيا . وارتقى صُعُدًا. فأشفقوا عليه. وعَلّقوا التمائم. وَاقْرَؤُوا لَهُ . سورةَ الإخلاصِ. وسورةَ الفَلَقِ.

من المكتب. خرجتُ إلى الصالون. ثم إلى الشُّرْفَةِ. دَخلتُ المطبخ. وأطْللتُ على الحديقةِ. ثم نَادَى المنادي . إلى البهوِ . ثم إلى غرفةٍ في الطابق العلويّ. فامتلأتُ بالفضاءِ الرَّحْبِ. وانقبَضَتْ نفسي فجأة. فَالضّيقُ ضيقُهَا. والرَّحابةُ من إحساسها. وما الكون إلا مرآة . على صفحاتها. تنعكس صورةٌ . هي صورةٌ مِن نفوسنا .

في الغابة . في الجوّ. وعلى متن البحار . أحسُّ بوحدتي. وبين أركان

المصحّة . حيث أسْتَشْفِي . في الْـمَعْبَدِ . وبين أركان الـمَحَابس . هي عُزْلتي . كأنـه الهدوءُ. كأنه السّكونُ. لست بخـائف. ولستُ بمُرتجف. وسألتُ عزلتي . عن هُـويّتها. عن مَنْبَتِهَا . عن مَـرتعها الفسيحِ. أمِـنْ حَوْلِـي هِيَ . أم مِن جُودِ مَـنْ حولي. ومن حينٍ إلى حينٍ. في نفسي أراها. أحادثها. أكـادُ أحـبُّـها. سِيَّانِ عندي اليومَ . الثَّرَى و القَـمَرُ.

إشْمَامٌ

قالت لِـيَ اللغة : أنتَ العاشقُ الجديـدُ . لا أقولُ لكَ إلا ما قاله مِن قبلك ابن الحسن :

«اقعُدْ في ثُـقْبِ الإبرة ولا تَـبْـرَحْ ، وإذا دَخل الخيطُ في الإبـرة فلا تُمـسكهُ، وإذا خرج فـلا تَمُـدَّهُ، وافـرحْ فإني أحبُّ الفرحـانَ، وقُلْ لهم قَبِّلَنـي وَحْـدي وَرَدَّكُـمْ كُلَّـكُمْ. فإذا جاؤوا معكَ قَبَّلْتُهـم وَرَدَدْتُـكَ ، وإذا تَخَلَّـفُـوا عَـذَرْتُـهُـمْ ولُـمْـتُكَ، فرأيتُ الناس كُلَّـهم بَـرَاءٌ » .

قلتُ للّـغـة :

أيتهـا الضـادُ. مفتـاحُ قلبـكِ بِـيَدي. وأزرارُ الفسـاتينِ . وسـدرَةُ الـمُنتهَى. بيدي . أنت. بيـدي. أسماؤكِ التي قـد خَطَّـهَـا القائلـونَ. أوصافُـكِ كما حـرّفها الـمُداعبونَ. بيدي. أوتـارُ قلبكِ. بالـنَّغَمِ الحائرِ. بيـدي . رِيشَـةُ العَـزْفِ. وآلَـةُ الـدَّبْـكِ. ومعْطَفُ العُـودِ. وتسـابيحُ القانـونِ. بأناملي . مَفَاتحُ الآهـات . ولذائذُ الأنين . بأصـابعي. مَفَاتِنُ اللّفظِ. لـو أمْسكْتُ. ماقـالوا بكِ شعراً . ولـو تمنّعتُ. ماسُمِـعَ صوتٌ لشيطـانِ الخليلِ. إيقاعكِ بيـدي. وتفعيلاتُ الـوَزْنِ. وأساريـرُ الضَّنَى.

أمواجُ البحـور. وصورةُ الفنّ. وتمثـال الهَوَى. كلُّها في مقْـبَضِـي. لـك الغاباتُ. فانسَـرِحي . لك الأعشابُ. فتـوسَّدي. لك ما شئت. لك ما أشاءُ. أقمتُ سجنًا. وشيَّـدتُ قبرا. ودَفَـنْتُ بَنَاتك. لَـهجَاتـك. دَفنتُ الحزنَ الذي . أحْـبَبْتـه روَّضْته. أقسَمْت يومًا. بالوفاء لَـهُ. بالعُمْر. كُلّ العُمْر. مافـاتَ منهُ. وما هو آتْ. بـالصّبر. بالجَوَى. سَفّهتُ أحلامَك. وقَـهَرْتُـهُ . أنْـبَـتُّك زهرةً. وأيقظتـُـك ريمًا . ودفنتُـهُ. بأسمائك التي نَطقوا بها. وبأوصافــك التي غازلـوها. لأحفـرَنَّ مغارةً. بئـرًا سحيقًا. ولأدْفـنَـنَّ في غَيَابَاتــهَـا . عقاربَ التّاريـخِ. وأشيـّدَنَّ مقبرةً . شاهـقةً. عملاقــةً. ولأرْسُمَـنَّ رُخَـامَــةً. ولأكـتُـبَنَّ. هـذه مـدفنـة الـزَّمنْ. فَـلْتَـمُتْ. يا أيُّـها التاريخُ . ولتعشْ. يا خالـدًا. يا سرمـديَّ الكَـونْ.

أيتُهـا الكلمـهْ . أرْهقــتـُـك . صــوَّرتُ حبّك. ومشـاعــري. يافـتْـنـتي. ما حيلتي. أنا الظالمُ. ماحيلتي. أنا الظـالم. ما حيلتي. وأنا الـوفيُّ . فلَن أخونَ طبـائعي. ولن أغيـّـرَ قبلتي. سأظلُّ دومًا. رائحـا أو غاديــًا. طولَ البحَـارِ. وعَـرْضَ الـمَدَى. لك ظالـمــًا. سأظلُّ. وإذا الدنيا تخايَلتْ . فكَفـتَـْك مظالمي. وأوجبَـتْـني طاعـةً . فلتعرفـي . أنّـي أنا . قـد خَيَّبَ الآمـالَ في ظُلمه. وإذا ما الظّلـمُ صاح مخاصمـًا. وأتاك بَــعْدي . واشتكَى. متأوّهًا. بأنــيـنــــه .فَـتَبـتَّلـي . بـاسم الهَوَى. وترنَّـمي. باسم الجَوَى. وقُولـي. بملْءِ جوانحي. بالأحلامِ. بالأرَقِ.

بالفاء بالجيمِ بالراء . بكلّ فجرٍ باسمٍ . بالفجرِ مُفرداً . بالفَرد مَجموعاً .
وبكلِّ رَنَّةِ هَاتِفٍ . بالموعد . بالألواحِ . بالخَطّ الفاتنِ . بالسّحرِ
الحرامِ . قولي . ولا تَترَدَّدي . بُورِكْتَ لي . يا ظالمي . إني لظُلْمكَ
قد أتيتُ شَفيعةً . لاتَستَهنْ بشفاعَتي . بُورِكْتَ لي يا ظالمي .

إِدْغامٌ

في تجاعيد الوُجود الآتـي . سيُضاجعُ التاريخُ لُغَتي . سَتَحْمِلُ . ثم تَـضَـعُ . سَـيَكْـبُـرُ الوليدُ . ويَـنْحَرِفُ . فَـتُـنَاجيـهِ .

أيّها الشّعـرُ . ما أنتَ إلا ذَكَـرٌ . وكل الذّكـور سَوَاسيَـهْ . أيها اللفظُ اللّعينُ . أوْهمتَـني . أنّكَ مُفْـرَدٌ . ألاّ سواكَ يُـمَـاثلُكْ . فإذا أنا . كـالغرّة المخدوعة . آمَنتُ أنـكَ كاملٌ . قَدَّسْتُ لَـفظكْ . ولَـثَمت بالشّفَةِالحَرّى . حُرُوفَـكْ . وعلى الأوزانِ . رَقصتُ يـومي وليلتي . ورحتُ أمْـتَـصُّ رحيقَ الكلماتْ . وأقولْ . هو البعثُ الجديدْ . هو الفَنُّ . هو الخُلودْ . تمثالٌ من الإغريقِ . كآلـهة . يَـعْجـزُ الفنُّ عن نَحْتـهـا . لها يَسجد التّـائهُ . لها . ولظُلمهـا . وتحت غَـمَـامها . يَستظلُّ فـؤادٌ كَسيحْ . وفي رحـابها . تَـحْتَـمي . تلْكُمُ الأُنْثَى التي . كانـت تَظُنُّ أن الرّجالْ . وكلَّ الرّجالْ . قد عـاشوا مـرّةً . ثم مات جميعُهمْ . وما الـدنيا . في هـذه الأزمانِ . إلاّ . بأشباه الرّجـالْ . مَلأى . فإذا أنا مخدوعةٌ . بالشعر . ومـا الشعرُ . ما هو إلاّ زائـغٌ . مـاكـان إلا مُزَيّفـًا . دَوْسًا لمنثـور تَفَـرَّطَ عقْـدُهُ . طَعْنًا للجواهرِ صُنّعَتْ . بمَعسولِ الهَوَى . أقسمتُ بـالشّعرِ . كم كان أحْرَى بهِ .

ألاّ تَــزْوغَ أبصــارُهُ. ألا يخونَ العهــدَ. عهــدَ وفائــنا. عهــدَ الأمانــي.
يَتَــقَاطَــرُ عطْــرُهَا. نتساقَى أريجَــها. نموتُ ونحيــا. بين نهرٍ وجدولٍ.
تهادَتْ نفوسُنَــا. كَخَمَايِلِ الفِردوسِ. أبديَّــةَ الأزمانِ. خــالدةَ الهَــنَاءْ.
شرقيّــةَ الأنسامِ. صوفيَّــةً. حتّى الجُنونْ. مجنــونــةً. كنتُ أنــا. مجنونــةً.
مازلتُ أنا. فَبِمَن أجَــنُّ أيا تُــرى. أبـالشّعروقد تهتّك عِــرْضُهُ. أم بالنّثرِ
والجفــاءُ مَــجَازُهُ. يــا أيها القــومُ. هُبُّــوا مَعي. وتَمَــرَّدُوا. يــا أقــدارَ
الكونِ. تَــبَدَّدُوا. يا أسماءَ الشعرِ. تَــفَرَّقُوا. فلستُ قــائلةً لكمْ. مــاكنتُ
أقــولُــهُ. ولكنّي. سأهمس همْــسَةً. بها أهْــتكُ الأعــراضَ. سأقــولها.
سأبــوحُ بــســرِّهَا. سأقولُــها واللســانُ مُــمَزَّقٌ. سأقــولُــهَا. والفــؤادُ
بــدمَائــهِ يَــتقطّعُ. سأقولُــها. وللأقدارِ مَغفــرةٌ. سأقولُــها. ولستُ
براجعــةٍ. سأقولُــهَا. ولستُ من اللّواتــي. أنوحُ وأنــدَمُ. سأقولُــها. كلُّ
الرجالِ سَوَاســيــه. سأقولها. حتَّى أنتَ يَــا ولَــدي.

نَـبْـرَةٌ

. . . وإذا القائلُ هو القائلُ:

« . . . أنتَ صاحبي . فإذا لم تجدني فاطلُبني عندأشدّهمْ عليَّ تمرُّدًا . وإذا وَجَدْتَني فلا تَعْصه . وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تَقْتُلْهُ فأطالبَكَ به وَخَلِّ بيني وبينك . ولا تخلِّ بيني وبين الناس . وخاصمني . وتوكَّلْ لهم عليَّ . فإذا أعطيتُك ما تريد فاجعلْه قُرْبانًا للنار . وقف في ظلِّ فقيرٍ من الفقراء . فَسَلْهُ أن يَسْألَني . ولاَ تَسْألْني أنتَ فَأمْنَعَ غَيْرَكَ بمسألتكَ فتكونَ ضِدًّا لي وَأخْذُلَكَ » .

فناديتُ لغتي . زفرةٌ جاءت إلى القلب . زفرةٌ كالسّاحِرَهْ . أنينُها الحُلمُ . والذّاكرهْ . إيه . يَاذاكرَهْ . وأنا القادرُ . لَيْلاً ونهارًا . أنا القادرُ . بسائطُ العُمْرِ في مَفْرَشي . و المكانُ القَصيُّ يا أيها الناسُ . ألا فقولوا . كما قال الذي قال . أنا العاشقُ . أنا الوَجدُ . أنا الزَّمَنُ . أنا الرّوحُ متّحدًا . أنا الحاضرُ . أنا الذي . على غير أهله كَتَمُوهُ . حَرَّمُوهُ . أنا العشق المُبَاحْ . أنا الزّمنُ المباحْ . أنا الخالصُ من دون العبادْ . القلبُ تغريدٌ ومرْجَلُ . يشدُو . عن شوقهِ لا يَرْحَلُ . وبسائطُ الخضراءِ . في وجدِهِ .

تَـهيمُ وَتَرْ فَـلُ . ونعيمُها . وضفائرُ زَهْوِهَـا . تَبْني البلابلُ أيْكَهَا . لتُقيمَ يـومًا . لتعـودَ دهـرًا . وكأنها عن ريـاضِ الوجـد لا تَـرْحَلُ . و الفجـرُ وَضَّـاءٌ . كأن شُعَاعَهُ . سَوَّاحـةٌ . تَـتَهَلَّـلُ . هَـلاَّ أبَـنْتَ القولَ . أمْ هَـلاَّ جَلَـوْتَـهُ . أيـا قلبُ . لا ظَمِئتْ . جـداولُ الأنهار حولَـكَ . ولا أنتَ . بخالص شَهْـدِهَا . حَتَّى الثُّـمالَـة . تَـتَصَـبَّبُ . تنسـابُ مَـيَّاسًا . تتسلَّلُ . متهاديا عشْـقًا فُـراتـا . ومغنّيًا نشيدَ عودتنَا . فإلى مَتَى . هاذي الرُّبوعُ . تتباعَـدُ . وإلى متى . هاذي القلوبُ . بـرضَاب شَـدْوِكَ تتقطَّـعُ . وشهوةُ الذكرى . لقلب مُـقْفـر . والشموعُ . تُؤَاكلُ الشُّهْبَ لُـعَابـا . ونارٌ تَـقذفُ الفتائـلَ حـمَمًـا . وتهَـلَّلَ النَّخلُ . وارفَ الظّلّ . وسرُّ الكون حـرْقَةٌ . تطوي حرقـةً . ويهَتفُ الهاتفُ . لتدخلوا الأفُـقَ الـرّحبَ . مُخضَّـبينَ . غيرَ خـائفينَ . والفتـحُ القـريبُ . وكلّ شيء مُـرَتَّبٌ . مُنَـضَّدٌ . مُـوَقَّـعٌ تَـفْصيلاَ . فإن أنا متُّ . فَـسُـبَّنـي . وإذا رحلتُ فنادنـي . تُعَانـقُ الرّوحُ صَليَّـهَـا . والطُّهْـرُ أورَقَ . والمياهُ جَـوَادبٌ . و النهـرُ أتُّـونٌ ومرْجَلُـهُ الـدَّمُ . وتـرتـوي النفسُ فـداءً . ومَـوجُ البراري . رمـالٌ كـالجواري . لـمـثلها . عَـنَّت الـذّكرَى . وَدَاءُ الـوَجد نسْـيَانٌ يزولُ . أرَوّضُ العشقَ ألوانـًا . وتَسْكُنُ النَّفْـسُ . والقلبُ طائعُها . إني أنا الساكبُ . فافتَحْ لـيَدي . ثغرَ الشَّـراب . واصْبرْ على جُرعَـة . واكفُـرْ بالّذي سكَـنَكْ . وافْـزَعْ . وقلْ . بـاسم الكـواكب . دُجَـاهَـا اللّيلُ . ونـورٌ واجفٌ صَمَـدُ .

إمَالَةٌ

أيتها الفصحى : سعيدٌ . وبحبّك أكثرْ. أعطيتُ . ولكنْ لك أكثرْ . في البدء كانت كلمةٌ وأكثرْ . واليومَ أكثرْ وأكثرْ . عانقيني . دثّريني . صَوِّري على جَسَدي . رسومَ اللّفظ . ووَشّحيه . بلوحات فنّك . ثمّ أرْسِلي . على معاطفي . وبين جوانحي . خمائلَ لَيْلِك . إنّني . ملّكْتُك نفسي وأكثرْ . أعانق شوقا . فإلى غيومك رحلتي . وإلى محيطك مَلجئي . طريقي إليك مفازةٌ . بها الأشواكُ تَلْسَعني . عهدي إليك . غاضبة أو راضية . لبيكَ أيُّها التّعبُ . لبّيكَ لبّيكَ . يا أيها اللّهبُ . دَعيني ونثرَ العُقود . أنا حرٌّ . وحرّةٌ كلماتي . كلُّ قَيد بجُرْحه . وكلُّ جُرْحٍ بنَبْضه . فَمَتَى النّزَالُ . فالمَرْكَحُ جاهزٌ . وكذا الأبطالُ . والأضواءُ . والقادمونَ ليَنْظرُوا . مهرجانَ اللفظ جابُوا صوبَهُ . يعانقون الوزنَ . والإيقاعُ يُرْقصهم . إلاّ اليَتَامَى . هاتوا اليَتَامَى . دُرَرُ الألفاظ لها تتهادَى . نَثْرًا وألوانُه شتَّى . كما صاغ صائغ . أداعبُ الأوراقَ . أنا اللاَّعبُ . أحرّكُ الأحجارَ . كأنها العاجُ . من رُخٍّ ومن مَلِك . وهاذي الأميرةُ . تموتُ وتحيا . والبيادقُ حولها . تطوفُ بفارسِ الشّطرنج . حتى تُذيبَه . لِتقولَ عندئذ . كشٌّ ومَاتَ . فإنْ تحيا . فَبإمْرتي . وإن تلهو .

فبلعبتي . وإن أنتَ أمسكتَ العنانَ . فقلْ لنـا . أيُّ الفوارس . ذاكَ الذّي .
غاباتُهُ العُشبُ . أم هذا الذي للَـفْظـه ظالـمٌ . طَوَّفَتْ . فَلْتَـقْرَؤُوا . باسم
الدّعـاء . صَـلاَ تَـهَا . وَسُهَادَهَـا . نَهَارُهَا الليلُ . وبعـضُ أسمائهَا . إلى
العـدالة . ومملكـةالعشق . مطلوبـةٌ . وَمَنْ غَـيْـري . أنـا الطالبُ . أنـا
الطـالبُ . فاسألي العَـرَّافَ عَنَّـا . ثُمَّ قولي . إنها الأقـدارُ فينـا . ربّةٌ تلهـو
وأفلاكٌ تـدورْ . و الّذي نفسي بـِلاَهَا . والّذي عَـنَّا يَغيبْ . أنَّ ذَا الرُّوحَ
مَلاَكٌ . أنّ ذا طيفٌ حبيبْ . عائـدٌ يوما يـُغنّي . سائحًا بين الدُّرُوبْ . في
رياضِ الأُفْـقِ يَدعو . ويُنـادي . ويؤوبْ . هو ذا الحُلْمُ المُؤَجَّلْ . هو ذا الماءُ
الـزُّلاَلْ . هو ذا الأيكُ الفـريدْ . هـو ذا الحبُّ العنيـدْ . فهل أتاكَ حـديثُ
القلاعْ . شامخات . صامدات . أقفالُـها الصَّلْدُ . و الرواسـي الشاهقاتْ .
الصّخرُ أوّلُـهُ . و البرجُ قبلتـهُ . وفُـتَاتُ القلوب . حبَّاتٌ على الأرض .
طيـورٌ عابـراتْ . وإذا البرقُ هَفَـا . وإذا اللحظُ مـــدادْ . رجفـةُ الأقـلام
بياضٌ ناصعٌ . وفتحٌ قـريبْ . وإذا الـمَحَاجبُ تـرتوي . وإذا العسـاكرُ
غـازيـاتْ . و الحصنُ مـرتعش . والأسوارُ . و السهـمُ فاتـرٌ . و الأقفـالُ
هاويـةٌ . و النفس دَعـيَّـةٌ . والعصيـانُ نَجـيُّهَـا . والطّيرُ مالكُـهُ . نسورٌ
خاطفاتْ . شعـاعٌ . والجمرُ . مقْـبَضُـهُ اليدُ . والأنـاملُ باسماتْ . ولذّةُ
اللّحـظ . قلـوبٌ واجفاتْ . والأنَا فـوق الأنـا . والشعر فـاتـن اللـفظ
و المعـاصم واثقاتْ . و الإسـم مكـرَّمٌ . و الـمَحْتِـدُ واسماتِ عامـداتِ

زاهياتْ . والكل مزدحم و الضمائر في الأنا . هو الأنا . فلتكوني وليكنْ . حرفٌ و حرفٌ . حيٌ لا يموتْ . أجهشتْ باللفظ صاحَتْ : أقولُ فأندَمُ . ولا أبوحُ . فيَشتكي الوَجَعُ . لَيْلي سُهَادُ . والنهارُ . كَمَنْ سَلاَ . وكَمَنْ شَدَا . سَلُوا قلبي غَدَاةً . سوا قلبي أصيلاَ . لا تسألوني . ولا تفعلوا . فلو سألتم . سَأَكْذِبُ . ولو فعلتم . سَأَكْرَهُ . أن أقولَ لكم . ما قد قلتُهُ . وعرفتُهُ . وطويتُ صفحاتِ الهَوَى . ونسيتُ . أنْ أقولَ . إنّي عربيّةٌ . عربيةٌ . عربيةٌ .

General ... (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

تَضْمِينٌ

جَلَسْتُ. وثَـبَّتُّ في الـرَّمْلِ الـذهبيّ . بأظـافـري . وأقمتُ عِمادًا . ونصبتُ شَمْسيَّـتِـي . كما كان يَفعلُ أبي . وجَدّي . في غابـرِ الأزمان . في الصحراءِ . في شـواطىء العُشْبِ . وفي المراعي . وعلى ضفـافِ العيونِ . جلستُ . ونَصبتُ . وانتظرتُ كما انتظر مـوسى . قبل أن تجيء إحداهما . نصبتُ واستلقيتُ . وقلـتُ للشّمسِ : عليكِ . بمفـرشي أبْدلِـــي منّي الغـلافَ . فأبي أسمرُ . وجـدّي أسمرُ . والقـارّة السمراءُ أمّي وجـدتي . أبْـدِلي جلْـدَتي . اصْبغِـيهَا . أعْـرابيَّـةً . ذاتَ أنـوارٍ إذا انكشفَتْ . حُـمَّ الغَـمَامُ . وضاعَ لُـبّي . وبعضُ قلبي . وتـاهت الأنظارُ . ونادَى الطّيفُ : يا أسمرُ يا أسمر . هل يأمَنُ البحـرَ راكبٌ . هل يَـنْزلُ النهرَ إلاّ مغامرٌ هل يَعْلـو الجبالَ إلا مكـابـرٌ . بُحـورُ النفس مظلمةٌ . أنهارُ القلـبِ غائمـةٌ . جداولُ الخضراء تَـبْتَسِمُ . شواطىءُ الأنس فيهـا جَـنَّاتٌ من الهَوَى . فاتنةُ الرياضِ . سَوَّاحَـةٌ . تُـغْري . مِنْ بَني عُذرةَ جـدّي . من قَيْـسٍ . من ديارِ الرَّبْـعِ . عَشِقتُ نفسِـي يـومَ عشقتُ كلماتي . يَـا فُصْحَـايَ . هذا غنـاءٌ . تَـهْوَى . أهيمُ بحبّها . تختالُ . أصبو بلهوِها . بغرامها . في مَرتعِ اللفظ .

في مَغـــازل اللحنِ. في كل أغـــنـــيَّـــةٍ. هـي نفسي. هي نفسي. واضحُ اللَّحن. أعْـزِفُ. أقودُ التَّخْتَ. وأمضي. شاديا. شـاديا. لك يا عربيّةً. أيتها الفصحى. لساني وجنـاني. أهديتُك روحي. وهل قليلٌ. أهديتُك أنفـاسي. ذراعي ومَبْسَمي. وهـلْ قليلٌ. مـا كنتُ أحْسَبُ. أنْ قـد غَفَلْت. ولقد نَسيت. ألفاظُ الآخرينَ. علامةُ عَيّهمْ. علامةُ جِنْسهمْ. كَفّي. ذراعي. صَـدْري وأنـامِلـي. وكلُّ ما فـي جَسَـدي. شَـهَادَةُ حُـبّي. وتُـرجمانُ عـواطفي. لا شيء في جســدي. لا شيء في لُغتي. يُـحَرّكُـهُ الهوَى. ما لم يكن. مِـنّي الفؤادُ. هائمـًا. بالحبّ قـد نَـبَضَا. الجسمُ حَـمـَّالُ لَـذّات بـلا أملِ. والقلبُ إذا أحبّ. هَـامَ في عشْـقـه الجَسَدُ. نَـفْـسي فلتسـتجبْ. يا لفظُ. أنَّـى مُنْيَتي. بانَتْ. فجادَتْ. ثم هامتْ. فتشرَّبتْ صَفْـوَ الرحيق. رَحيقهَـا. فَلْـتَصْفُ لـي. يا مَشْـرَبي. ولتقلْ: هو الفجرُ بازغًا. هـو ذَا مَشْـرَبُ الألفاظ عند سُبَاتِهَـا. أجْهَشَتْ بالبَـوْحِ. كنجمٍ يتوارى. بين الكلمات يَـسْـتَـتِـرُ. فَـيَلَذُّ لـيَ الحديثُ. من عَبَـثِ الـولَيـد. ثـم أسَّــاءَلُ: حَالــي كحــالِـكَ. أنتَ لي. وأنَالَـكْ. الخـلـــقُ كَلمَـــهْ. والوجــدُ كلمــهْ. والـملـبَسُ والألـوانُ. وحركاتُ اليـد. كلمهْ. واللفظـةُ المكتومـةُ. والتي تصل إلى الشفـاه ثم لا تُنطَـقُ. وقـولُنـا: إني مُـمسكٌ. كقـــولنـــا: لا أعرفُ. وإطـلالةُ الـوجه. وانسيـابُ اللّحظِ. كلمهْ. كـأنّما العينُ تَغْـمزُ.

وهـي لا تَغـمزُ. و الأنـامل اليمـنى على أظـافر اليسرى. و السـاعةُ على الـمِعْصَم تُطِلُّ من تُـخُـومِ الثّوبِ. و العينُ تَسترقُ الـوقتَ. و الجيدُ إذ ينحني إلى الكَتفِ. وابتسـامةٌ يَقْطعهـا الخَـفقَانُ. ووَجنـةٌ يتوالـى عليهـا شحـوبٌ واحمرارٌ. وعينٌ تَشْـرَقُ لَـتَكَادُ تَـنْدَمِعُ. و الجَفْـنُ مظَلّـةٌ. وفَراديسُ النعيمِ. جادت بِخِلٍّ يَقرأ الكفَّ. ويُصغي إلى النَّمْلِ: بكلِّ هذا السحرِ. أسَـرْتـَنِي. سَلَبْتَني. كفراشة. إلى النـور. أنّى صَـرَفْتَ السّيرَ. إلى كَبِـدِ السّماءِ. في الفضـاءِ الرَّحْبِ. قد غزوتَ الكـونَ. حَتَّى مَلكتَـهُ. تـُحرِّرُ القَيـدَ. سُودًا وبيضًا. إلى السماءِ مَعْـرِجُـنَا. إلى الشهـادة نَطلبُهَا. شهيقًـا زَافِـرًا. سبيّـة الوجـدِ. في المعشـوقِ خـالصةٌ. ومع الحبيبِ خُلودُهَـا.

إفْصَــاحٌ

كلما سمعت شعـرا أو مَشيتُ راجلاً، كلما أنشدت أغنيَّــةً أو أكلتُ خبـزا. كلما ارتديتُ ثـوبـا أو احتسيتُ شرابـا. كلما وضعت على ناظـري مِـجْهَـرًا. رأيـتُ اللغةَ. حَضَـرَتْـنـي اللغةُ. فاجأتْــني. أفسدَتْ مشْيتي وغنائي. نَغَّصَتْ خُبْزِي وشرابي. أيقظَتْني بالكونِ بالنّاسِ بالغافلين عنها بالهَاتكينَ أعْـرَاضَهَا.

رأيتُها مع نوح. رأيتُ مَـرْكَبَـهُ. تَصورّتُـهُ يَـخْـتًا ملكيًا. في المزاد العلنيِّ. يُـباع ويُـشْـتَـرَى. بأغْـلَى ثمنٍ. فاقتنـيْتِـهُ. وَ رَصفْتُ على مدارجه، من قواميس الكلماتِ، من كل زوجين. حقيقةً ومجازًا. وفاضَ التنّور: ارِكبي معي أيتها اللّغة سأحميكِ...

يا كلَّ حـاضرِي أيَا قَـدَرِي... أشكـوكَ قسوةَ العَيِّ. فَمَنْ سـواكَ يَــبعثُ الدّفءَ في أوْصَـالي. في الرأس سـؤالٌ. تَتَشَظَّــى الذاكـرهْ. فمن يَــغسل عن قلبي التعبْ. أسْبح في بِركَــةِ الجسدْ. أرْسلُ إليكَ شُعْلَـةً من دَمي. وشَهْـقَــةً نَسيتَـهَا ذاتَ مساءٍ على صدري.

جـاءني بهاَ ودَعَاهَـا. فأتَـتْـني. مُتَخَـفِّيَـةً. تـريدُ فُجَـاءتي.

هاتَـفَتْ . بـَيَد الــمرْنَاة . فَـدَوتْ صورةٌ . تَـنْحَـــرُ الشّـرْيَانَ . كنتُ أرى الأيّامَ . أعُـدُّهَا ليلاً بليلٍ . تَـطوي نزيفَـهُ فأبْـتَسِمُ . و اليومَ ها أنا أبتسمُ .

لا تُطلْ بعـد اليومِ قصـائدكْ . فخيرُ السِّحـر نَـفْـثةٌ . معقـودةٌ . لا تَـملكُ لها . ذاتُ الـهوَى . أنْ تتعوّذَا . رُشَّـهَا رذاذًا . مُـمطرًا . متهاطلا . واختِـمْ عليها بَصْمَــةً . أمّـيَّـــةً . هي لغـة الهـوى . عـاريــةَ الحـروف . و الحركـاتْ . و الكلماتْ . فَهَمْهِمْ بها . متلكّئًـا . والْعَـــنْ دُعَـاةَ الشعـرِ . وبعضَ الفصحاءْ .

كُنْ كطيفكَ هاويًا . وكَظلّكَ . لا تَبتعدْ . لأدغًا . هاجرًا . هبَات بلا نَـدَمٍ . صَمتٌ خَشُـوعٌ و الصَّـدْرُ أوّاهُ . و الـدمعُ من مُقلتي . في نشـوةٍ وَهَّــاجَة . في غمرة الأشجـان ودَّعتُهـا . لُـغَتي . وفي غفـوة كَصَفير همسٍ وكنور السَّمعِ أحتاجُهـا أدْعُو لها . كالعبد ينـادي و ينادي : ألا أيها المولـَى بربّ الشعرِ و للحبّ آلـهـةٌ هل مـن طيف يـُجدّد لي عهدًا و عهدًا ويقول لي : ما نارُ لفظ يـَتـَجَارحُ يُـتـَقَاطَـرُ . خذني إلى حضْنِ الكلمات . لادفءَ في غيرِه . ملءَ الجُفـونِ . وفي الأحلامِ . أحْيَا وَ تَــحْيَا . لنـا الوفـاءُ . لنا الدنيا . وكل السماءْ .

في الكونِ مسـالكُ . لا يَلجُهَا إلا واحدٌ . إلا مرّةً . إلا سـاعةً . ليس يدري متى هِيَ تأتي . إنْ كانت ستأتـي . فقــد يـنقـضي العُمْرُ ولا تأتِـي . و الحمدُ ألفٌ يـومَ تأتِـي .

بَثٌّ

اصْطفّت الجماهيرُ واستطالت الطوابيرُ. تـزاحموا. ثم دخلوا. التفُّوا بالحَلَبـَةِأدوارًا. تقول: كعبةٌ. ضجيجٌ. صراخٌ. أصواتٌ كالاستنفار. دقّت النواقيسُ. صَعَدَ المتبـارزان. على الحَلَبَـةِ: الحبُّ و اللغةُ. تعاقَبـَتِ الجولاتْ. قال: أثمرتُ عشقا. قالت: وضعتُ شعرًا.

مَـنْ زارعُ الورد. من صانع البهاءْ. مَـنْ خالـقُ الفـتنْ؟

لولايَ ما كنتَ تحيا. ماكان شاعرْ.

لولايَ ما كان سحرٌ.

بعد نزول المطر. بذرٌ. نباتٌ. زروع. إثمارٌ ومَــخَاصِبُ. حصادٌ ومَغَــانمُ. زال الجفـاف واختفى الجَدْبُ وعـاد المطـر يســاقي الأرض فترتوي.

لقـد ألمّ الطـائفُ وذهب بما ذهب حتـى أضنـاني وأنهك قُـوايَ وأنـا الضعيفة في نفسي. أقول عـبَرًا. أسمع صوتكَ في السماء يوقظ أحلامي. ذاهلـةً. صامتـةً. حائـرهْ.

حين تَسْكُبُ في مسمعِي كلمات الدّفء أسارع إلى المهد الوثير فأراكَ معي نركض على صفحات المطر فَيَنْبُتُ البحرُ أحباقًا فتبتسم المرآةُ ويضحك الكتاب ويتأوّه الوثيرُ.

ستتشكل كلماتي حين تمسح بيديكَ جبيني وتنثر نظراتكَ على جسدي نَدًى وإلهامًا.

فَلَمْ يكن كتابٌ ككتابها. ولم يكن حبٌّ كحبّها. وشاع الخبرُ بين الأقوامْ. فصارتْ مَضرِبَ الأمثالْ فحسدها العقلاءُ وتمنوا هذيانهَا. وكان أوّلَ الحاسدين كبيرُ العقلاءْ وقد أنكر نفسَهُ وعَقْلَ العقلاءْ.

اليوم آمنتُ أن الكلام يقتلني إذا ما اللفظُ قَلاَنِي. أوْ هَجَرْ. اليومَ أتلو على جميلٍ وعلى المجنون ولَيْلاَهُ و البُثَيْنَات فاتحةً. وغدًا. باكرا. سأرحل إلى كلماتي. و سَأَرْكَنُ منها في زاويةٍ. وسأدعو شاهدا عَدْلاً. وسأتلو على الكرسيّ خطابا:

الحبُّ أغنيَّةٌ. يجمعها قلبٌ تائهٌ. يضع لَحْنَهَا نبضٌ قاهرٌ. يؤدّي أنغامَها صوتٌ عاشق. يُروِّض تَخْتَهَا معلّمٌ ماهرٌ. ثم يُفْشِي سرَّها لفظٌ ماكر.

عشقتُ الحسناءَ فوهبتُها كلماتِي.
عشقتُ اللغةَ فوهبتُها حُبّي وهُيامِي.
ضاعَ حبّي يوم ضاعت كلماتي.

رَنِــينٌ

ذاتُ الأشعـار تكلّمتْ فجـرا وطلبتْ مـن جنـود الليل أن يَسكتـوا فـأصغَى لها الجمع ثم انحنوا فقالت مخاطبةً أنيسهـا : ما الذي تريدُهُ منّي ، مالذي جئتَ تطلبُـه . فالكونُ أرحبُ من فضائي . ويـدُكَ الطُّولَى . والكلُّ حولك : يُـحَلّقُونْ . ويتسابقـونْ . ولك يُغَنُّـونْ . نشيـدَ الحرب وأشعار الجنـونْ . إلاّ أنـا . وأنتَ على العـرش كمالكِ الأرض و السماءْ . تـوزِّعُ صكوكَ الغفرانْ . وتُعطي الجوازاتْ . وتَـخلع الثوب على من تشاءْ . ثم تُوقدُ النـارْ . وتَقتطعُ الشعورْ . فَتَـنْثُرُهَا سَعِيرًا فالدنيـا بَخُورْ . و العطرُ مـخْدَارْ . ويحترق العـود ويتفاوح المسكُ ويلتـذّ الخليلْ . وعنـدهـا يهلّل الحفلُ من حـولكَ وتتقاطع الأذرع على النُّحُـورْ . فينحنـي الجيدُ وتصغي الـمَسَامع و القلبُ يَتَـهَـدَّجُ و الأنامـل تَزْرُقُ . خوفٌ و حرقةٌ وانتظارْ . والكلُّ غـائظٌ و الكلّ مَغيظٌ و الكـلّ يَستبصرُ القضـاءْ . صـولـةٌ منكَ يـا عـاصرَ القلوبْ . يـانـافثَ الأرواحْ . وتقف أنتَ سلطـانًا عتيـدًا . يصرّح بالأحكـامْ . وتقف أنتَ جبّارًا زعـوقًا . يَـعْصف بالحسـانْ . ويطولُ بين وقفتــكَ و الكـلامْ . سكوتٌ وسكـوتْ . كأنها النَّبْلُ تصيب القلـوبْ . وتقـول كل لاهثةٍ . وتقـول دون أن تقـولْ . وأقولْ . ألاَ إنكَ الـحكَمُ .

ليتك لا تَعْدُلُ. وكيف يَعْدُلُ الحَكَمُ. إني أنا الأنثى التي لم تَفُزْ بالسّبق ولا حَطّمتْ رقما بالقياسْ. فكيف لي بالفلاح أطْلُبُهُ. وكيف لي بتاج العرش أحملُهُ. كنْ ظالما وخذني . كن ساحرًا. كنْ سليمانْ . كن قاهرا لمن سَبَقُوا. كن مُنصفا للتي تَلْعَنُ العَدْلَ وخذ بيدي . كن جائرا . وكن لي فأنتَ أنتَ العادلُ.

لو كنتُ أعْدُلُ ما عَشقتُ . لو كنتُ مُنْصفًا ما جلستُ على العرشِ . فأنا بِجَوْرِ الحُبِّ أحتكمُ. وأنا من العدل أنتصفُ. فالعدلُ عدلي . وحكمُ السماءْ. ولا يعرف العشقَ إلاّ من ظَلَمْ . إني قد حكَمْتُ عليك وحكمي نافذٌ. وحكمي قاطعٌ. لا يُسْتأنفُ. و الحاكمونَ و القُضَاةُ و المُرافعونَ في مملكة العشقِ و الذين بقانون السماء يَنطقونْ. إليك سيقولونْ . إني قد حكمتُ وحكمي قاطعٌ. لايُستأنفُ. و الهائمون في ربوع الوجد وحُماةُ العرين. وأهل الرباط. وحرّاسُ الثغورِ سيَتْلُونَ ظَهيرَ الحكمِ وحيثيّاتِ القَطْعِ. وسيقولونَ هذه استقالتُنا من الشعرِ. وهذه إجازتنا. من حقوق الكلمات. فكلامنا اليومَ كلامٌ جديدْ. ومُعْجَمُنَا اليوم قاموسٌ جديدْ. سلطانُ الشوق كعشاق المرايا . وأصوات المُحبّينَ كرسائل المراودينَ. من فاتنينَ . ومفتونينَ . حولَك قامت ملامح الجريمةْ. ومنك قد صَدَرَتْ. فيالقُ التهمة. وعليك حيثياتُ الإدانةْ. عنكِ قد حُرِّمَتْ ظروفُ التخفيفْ . إلى قضاء الحبّ

فاسْتَسْلِمي. عليكِ قد حكَمُوا . حبًّا مؤبَّدًا. فادخلي القلعةَ وجُرّي أغلالَ قيد يحوطُ بك. إلى الأذقان. وعلى المَعَاصِمِ. و الخِصرُ مُسَلسلٌ . وقُيّدَتْ الخُطَى. وتُحْسَبُ الأنفاسُ. أفلا تتبتّلينْ. أفلا تتأوّهينْ. لا يَعْرِفُ الحبَّ إلا من ظُلِمْ. ولا يَدخلُ الجنّةَ إلا من بكَى

حَرْفٌ

الكلامُ اسم وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنًى وحرفٌ ليس كسائر الحروف وحرفٌ يُدركه الحسُّ وحرف لا تؤديه الصّفهْ. في الليلة البَدْراء تغيبُ الكلماتْ. أنا الحرف الذي فرّ من قيد الكَلِمْ. ريشة ذهبيّةٌ. تَرسم ألفاظي بألوان الشوق، على صفحات الألَمْ. تُقَيّدُ أنفاسي ثم تُطْلقُهَا. كما الآهات. في الهواء الطَّلْق. على سجلاّت الألقْ. نَادني أرْكَبْ إليكَ. ناذني. أيا حُسْني أيا مُنْيَتي. أشدوكَ أغْنيَّةً. أراقصُ إيقاعًا يَخْطَفُ الأبصارَ برقًا. فأنا الصوتُ إذا الصوتُ هَمَسْ. نادني واصْرُخْ. فزمانُ اللّفظ وَلّى واحْتَجَبْ. لكَ الروحُ, لكَ الجسدُ العتيقُ. لك منّي ما يَنْبُضُ وما قد سكَتْ. هُزَّني بِصِيَاحِ صَوْتِكَ. فأنا الفجرُإذا الليلُ غَسَقْ. اسْكُبِ السَّيلَ على جَسَدي لِتَسْتَلَّ من غِمْدِيَ سيفَ الأرَقْ. وتَغْسلَ أوْتَاريَ العَطْشَى. وتُرْسِلَني. طيرا يُحلّقُ في الأفقْ. خُذْني أنا الطائرُ. خذني على الرّبوةِ الخضراءِ. ضُمَّني واصْرُرْ. لا تبتعدْ عنّي. وليكنْ لَيْلُكَ كَأسي. إني على سَفَرٍ. في ليلة الغَسَقْ. إنيّ إلى رحلة من وراءِ الشّفقْ.

عندما عرفتُكَ كان مِنْ حولي فَراغْ. كالهُوَّة السَّحيق. أتجلَّى على حافة من بئرٍ. أمُدُّ يَدي. أنْسَاحُ إلى الأعماقْ. كأني إلى الخلودْ. بلا قرارْ. بلا زمنْ. بلا حدودْ. مَدَدْتُ يدي. أمسكتَني من ذراعي. تعلّقتُ بجسمكَ. أحببتُ نجدتَكْ. هممتُ بمَلْءِ الفراغْ. وحدثتُ نفسي. بغير ما في نفسي. حتّى انطمَسَ الفراغْ. جاؤُوا إلى البئرِ السحيقْ. ردموها. فارتدمَتْ. على الأرضِ من جديد. وضعتُ أقدامي. صلبةً وجدتُّها. صخريّةً. شكرا لكَ أبا المكارم. شكرا. قد امتلأ الفراغْ. شكرا وحمدًا. يا مُوقِدَ الأنوارِ. يامطفيءَ الشموعْ. يامَالِىءَ الفراغْ.

ذاتَ سَفَرٍ طرقتُ بابَ الكبرياءْ. توسلتُ ذاتَ ألمٍ مناجيا: كيف الكبرياءْ؟ من وراء الستار. ذاتَ بهجةِ. نَسيتُ الألمْ. قفلتُ راجعا. وفي يدي. باقةُ أزهارٍ. كأنها. أزهارُ عروسٍ. تخَضَّبتْ أشعارُها. ليلةَ عُرْسِهَا. بأوجاعِ البهجةِ. وَحنّاء الألَمْ. فهل تتواصلُ الأرواحُ دونَ الأجساد بعد أن التحمتْ الأجسادْ؟ هو التألُّمُ أو إيذانٌ بالوداعْ. فَبكَى السائلُ.

كيف تستقرُّ النفوسُ على النفوسِ.
سُئِلَتْ الأفلاكُ فلم تُجبْ.
وسُئِلَ الإنسانُ فقال: إن سكَنَتْ.

ثم سُئلَ أخرَى فقال : إذا احتَدَمَتْ .

وَغَضبَتْ من انتحالـه السَّماءْ .

فَسَألتْ الأفلاكُ آدمَ فقالْ :

الساكنُ عبدٌ ، و المسكونُ عبدٌ ، و العَبدُ على العَبد .

وسَألت الأبراجُ حوَّاءَ فقالتْ : إذا الساكنُ مسكونٌ فَصَحْوٌ واسْتسْقاءْ .

وإذا السّاكنُ سَاكنٌ و المسكونُ مَسْكونٌ فموجٌ يَمُورْ .

فَادْلهَمَّتْ السَّماءُ حَتَّى الرَّميمِ وأطْبَقَتِ الأفْلاكُ وَأقْفَلَت الأبراجُ واحتَمَى حُرَّاسُهَا .

فقال الكاهنُ : إعصارٌ ناسفٌ .

وقال الراهبُ : عارضٌ مُمطرٌ .

وقال الساحرُ : غيثٌ نافعٌ .

وقال الساكن : رَجَّةُ الزّلازلَ .

وقال المسكونُ : بَرْدٌ وَسَلاَمْ .

سَمَاعٌ

حَدّثتْ ذاتُ الأشجان قالت : رأيتُ ليلةً في المنام أنيّ ـ ونساءً مثيلات ـ قد اجتمعنا حولَ آسر القلوب مُحَلّقات ولم أكن قد انفردتُ به، فتذاكَرْنَا المحبّةَ وأوردت كلٌّ واحدة ما حفظتْه . قالت الأولى : حقيقة المحبّة قيامُكَ مع محبوبكَ بخلع أوصافكَ. وقالت الأخرى : أنْ تتكلمَ كلامَ عاشق فنيَ في عشقه وخرج عن أوصافه إلى المحبوب. وقالت الثالثةُ : ميلُكَ إلى الشيء بكلّيّتكَ ثم إيثارُكَ له على نفسك وروحك ومالكَ ثم موافَقتُكَ له سرًّا وجهرا، ثم علمُك بتقصيرك في حُبّه .

ثم انبرتْ من الجمع واحدةٌ كنّا نظنُّها كالخرساء ـ وكان الآسرُ يَرْقُبُ ـ فقالت : ما يسيطر على الوجدان من آية الميثاق حتى يكونَ الوجودُ للمحبوب. عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه متّصل بذكر محبوبه ، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحْرقَتْ قلبَه أنوارُ هويّته وصَفَا شُرْبُه من كأسِ وَجْده، فإنْ تكلّمَ فبالمحبوب، وإن نطق فَعَنِ المحبوبِ، وإن تحرّك فَبأمْرِ المحبوبِ ، وإن سكن فَمَعَ المحبوبِ .

وهممتُ أن أتكلّمَ وخَشيتُ، وأنا بين خوفٍ ورجاءٍ هتف

الآســرُوقال وكأننـا لم نكن خَالـصَات : هــلاَّ كَـفَـفْـتُّنَ عن المحبّـة لا تَـسْمَـعَهَا النّفوسُ فَـتَـدَّعيَـهَا . المحبة هـبَـةٌ لا يكتسبها العبد بالمنازلة وما لا يخضع للكسب يُـخشَى من المذاكرة فيه حتّى لا تطلبه النفس أو تدّعيَهُ .

فأفقتُ وشفـتـاي تردّدان : قد قال كـلَّ شيء .

ويـروَى أنّ ذاتَ الأشجان قـد أخذهـا في غَسَقِ الليل أرَقٌ ذهب لها بنصفه وإذ هي بين فكرٍ ومَنامٍ تَـسَـلّل إليها بين الستائر طيفٌ قالت خلتُه مَـوْلَـى السلامِ رسولَ الكلمات فـناجيتُـه .

يا شاعرا قـد تغنَّـى بشعره الشعراءُ. يا ساحرا . ياقـاتلي . يا مالكا . قد تَـسَـلَّـى بظلــّه الأمراءُ. ياصَـائغا بـاللفظ أحلَـى الكلماتْ. يا نـاثرا عَــقدا فريـدا . يا نـاقشا. يـا ناحتـا. بين ألماسِ وجُـمانْ. سأرتـادُ لكْ. سأنسابُ لكْ. وأذيـعُ يوما على المآذن. وأشقُّ الصّفـوفَ . و القائمينَ . وأدعو الجمعَ ومَنْ مَعي. تُوبُـوا مَعي . هذا مَلاَكُ الهائمينْ. وبَعدهـا يوما فيومًـا. ستَأتـيـني . سيفُكَ الأرضُ . والخناجُـر تختفي. و الشعرُ منكَ. مدحـورٌ. وأنا التي . ستَشـدُّ على مَعَاصمكَ الـوثَاقَ. وعنـدها سأهمسُ لكْ. يافارسي. يا آسـرِي. هذا جوادُكَ في يدي. حصنُ الوَغَى. ومَرْمَى النّزالْ. عليـكَ بي. عليكَ بمن قد أسَـرَكْ. فإن كنتَ يومـا طاعـنًا. وإن جاءكَ الظّماُ. أو شَدَّكَ الوَجدُ إلى القتـالْ. فهاذي أنا . فيها النزالْ. وفيها الـمُـقَامْ. الشعـرُ بيتي . و السّجـونُ قصـائدي. وأنتَ هنــا سجـينُ

الكلمـاتْ. فـداكَ الـرُّوحُ تَزْهَـقُـهَا. فجراً. وُصبحًا. ومساءْ. و الرّوحُ منسلخٌ. والبرازخُ تنتقِي. و الحصنُ منفتحٌ. يثـوبُ بحكمـه. ويطلبُ لـكْ. أن تُـعيدَ القتلَ دومًـا. يا قاتـلاً. يا زائرا. يـامقيما في أضْلُعي. إنيّ فداكَ وقد حكَمتُ عليكَ. إني فداكَ و الحكمُ حكمٌ مُؤَبَّـدٌ: أنكَ القاتلُ يوما. أنك القاتل دوما. إني فـداكَ وعلى المـآذنِ صيحتي: غفرتُ لَـكْ. غفرتُ لَـكْ.

فَاصِلَةٌ

قالت: أنا اللغةُ يتكلمونني ولا أ بُثُّ أحدًا شكَاتـي . أنا اللغةُ. أنا الأنثى . إنّي كَحَـوَّاءَ تَشتـدُّ وتُـمعن في الشدّة . تُـقاومُ نفسَها وتُبدي غيرَ ما تُـضمرُ. تقولُ عنها أبيـةٌ نافـرٌ. تقولُ عنها فضيلةٌ خالصةٌ . يحادثها الشيطـانُ فـلا تَسْمَعُ. ويَتغـافل عنهـا الأمـلاكُ فتـدعـوهم فيـُخجلُهم دعاؤُهَا . حتى إذا ما هفا حسُّها ورَقّ منها الشّجى وخَفَـقَ القلبُ نـابـضا مُـتَـدَفـقًّا وَحَادَثَـتْـهَا النَّفسُ على وَجَلٍ واشرأبَّ منها الجيدُ مُفَاتـنًا وطالَ انتظارُها فلم تَدْرِ أساعيـةٌ أم مطلوبـةٌ أراغـبَـةٌ أم مَـنْسيَّةٌ وجاءها اللَّحْظُ بهمسة ذَهَبَـتْ شدّتُـها كأنْ لم تكن وتسارعت منها الخُـطَى تُـسَابـقُ المناديَ ومـا هي إلا ومْضـةُ البرقِ إذ تَـتَـكَـشّـفُ، تتهـاوَى، تُسْلمُ النَّفسَ ومـا بـالنّفسِ ، تتعـرّى ولا يُـخْجلُهَا العُـرْيُ. فما أسرع أن تَـتَعَـرَّى التي اشْتَـدَّتْ واستمسكَتْ . مـا أعْجَـلَ أن تتكشّفَ ، تتهـاوَى . وإذا تجلّى المغمـورُ الـذي كـان على الأنثى فما أعْسَـرَ أن يَـحْـتَجبَ ومـا أبعـد أن يَـتَـوارَى ، تَذهبُ الأزمان وتأتي الـدهور وتتكاثف جبـال الأغطية وفي لحظـةٍ ، في همسةٍ ، بغمزةِ الطّرف ـ إذا شاءَ سيّدُها ـ تَسيلُ الجبالُ و الأقنعةُ

وشَامِخُ الرّواسي كأنها الثَّلجُ فَاجَأهُ لَهيبٌ شُوَاظٌ .

أيتها اللغة ، أسراري ومكامني ، ماذا فعلت بالذي قلتُ إليك ، هل تلوته وهل رتّلت حرفَهُ ترتيلا أم هل قلت : أصابَه الشعرُ . ضُمّيه إلى صدرك ضَمَّةً تُذيب مدَادَهُ فيتسلّلُ إلى القلب الرفيق بين أحناء الدّفء الوديع مُطلاًّ على الجَمْرِ تَفْنَى الأكوانُ ولا تَخْبُو نيرانُه .

أيتها الكلماتُ : مَتىَ توكّلت على الحيّ الذي لا يموتُ وسمّيت باسم ربّ العزة و الملكوت وطويت المكتوبَ ودعوت بالقهر والجبروت؟

إن للكلام جَلالا وعليه مهابةً كعظمة السلطان يَرْكَبُ الراحلةَ يَخترق المفازات ويَجِنُّ عليه الليلُ فلا يتزوَّدُ ولا ينام حتى يكون له صوت به بُحَّةٌ تعتريها حَشْرَجَةٌ فَيَتَأبّى ثم يتألّه ثمّ ترتجف شفتَاهُ مردّدا :

المدادُ عَصِيٌّ و اليراعُ على الإباء وينبلج من ثغرها النورُ وتسأل مَنْ أتاها : كيف أنتَ قبل أن تراني . فيقولْ : كما كنت أكونْ ، أسعارٌ ومُهورْ ، أبتاعُ من الهَوَى وأبيعْ ، صَفَقاتٌ بلا خُسرانْ ، وكلٌّ بائعٌ ويشتري ، وربّاتُ الخدورْ . ومن الكلام ما سَحَرْ ، ومن السحر ألوانٌ تَصْدُقُ وألوانٌ تُدَاري ، ويجلو الشعرُ أستارَ النفوسْ ، حدّثيني يا ابنةَ النّور عن سرّ البلاءْ ، واكتُمي السّرَّ عن ماضٍ تَولّى ، واصْدَحي بما هو آتْ . قالتْ : أأنساكَ يوما فلن أراكْ . قالْ : هكذا قالت حوّاءْ ، وهكذا

روى الرّواةُ عنها ، كلّ البنات كأمّهنْ ، إلا التي بأنيس الروح قد آمنتْ .
قالتْ : بل سأتلو صفائحَ الذكرى وأقولْ : دَعْ مَنْ تَـلاَ وهات ما هو آتْ ، وسيَـقْـدِمُ الضيفُ وتُرْصَدُ الآهــاتْ . قـال : فَلِـمَ اللفـظ علـى اللسـان و الصدر قـد ضاق بها لا يطـاقْ . قالتْ : أحبّـكَ حُـبَّـيْــنْ ، حبَّ الهوى وحبّا على قَـدَرِي ، لعبتُ له ولا أرتوي وقلتُ : سحابٌ عـابرٌ وغيثٌ لا يـَـنـي . فـامتـدتْ السماءُ وتَـقاطَـرَ الصَّحْــوُ و انفجـر الغمامْ . قـالْ : وشأنُـك مع الذين عـرفوك . قالت : كنتُ أصادفُ الـرجالَ ولا رجالْ ، أتَـمَـلَّـى ويتسـاردونْ ، أحبُّ ألاّ يأتـيَ الرجلُ فيأتونْ ، وكنتُ في نفسي أتلهَّى وأقـولُ للـواحـد منهم : سأنسـاكَ مـا ذَكَـرْتَـني ، وسألقـاكَ مـا نسيتَـني ، أفَــلاَ تَـفْعَلُ . قالْ : كذا كُــنَّ مَعي ، تشتدُّ الأبيّـةالنَّـفُورُ يوما ثم إذا هي عِـهْــنٌ مَـنْفُوثٌ ، يطيبُ فيه المقامُ و الـوزنُ خفيفٌ ، فَتَـزَّاورُ النفسُ عنهـا ، ويطـول الجهد يُـدَافعهـا ، ويشتـدُّ العَـنَاءْ . و الــمَــلَلْ . وروائح الجسدْ . حتـى لَـقيتُك . قـالت : لقيتَ الشعـرَ ومُستلينَ الكلامْ . قال : وَفعلُ الفاعل يَـحْفرُ الأجـرامَ خُـدُودًا فتسيلُ النفس سَـيَلاَنَ الهَوَى كأنها الغيثُ الرَّذَاذْ . قالت : أفلا تخشى الفراقْ . قال : يوم لا تتلهفينْ ولا تتـوجّعينْ ويـوم تخبـو في ديوانــــك نيرانُ كسرى . قـالتْ : قلبٌ وَجِلٌ ومَعَاصِـرُ من دمي . قالْ : هو العشقُ وهو الرَّدَى . قالتْ : فأنـا الفانيـهْ .
قالْ : حملتُ لَـكِ حِـمْلاً وشَقَّـقْتُ عليكِ ثم رفعتُ الـمَرَافِعَ وسافرتُ .

لَــوْحٌ

أيهّا المتكلّمونْ. أيها السـامعونْ. يـا سُعَاةَ البريـدْ. الكلماتُ لعبتي. وغوايتي. أعابثُ بها الأنثى. وأقـول لها إني مُعابثٌ. فَـتَـقبل عبثي. ثم تُـدْمِنُ عبثي. وَلاَ أنْـفَـكُّ أقـول لها إني أرتّبُ الكلماتْ. وأسـوّي مَفَـاتِنَ اللفظْ. ولاشيءَ من وراء اللفظْ. ولا تفتأ تُـمْعِنُ في قَبول اللفظْ. وحبّ اللفظْ. حتى تَـنْسَى صاحـب اللفظْ. وإذا أنـا بـالكلماتْ. آتي إلى ذات الجمالْ. وأقـــولْ. وقعـتُ في شراك لفظي. فصـــدّقـتُ نفسي. فلست بعابث. فتـقْسِمُ هي أنيّ عابثٌ. وإذا اللغة بصاحبها. وإذا اللفظ بقائله. واصفٌ وموصوفْ. كفاتـنٍ ومفتـونْ.

أقولُ مسائلا. هل أنا آثمٌ. فتقـولُ. لا. وجلال اللفظ. أقول. لا أعرف الهوى. تقول. لذيذٌ كلامُكَ. جميلٌ خداعُكَ. فاتنٌ يُـغْـري.

وتمضي الأيّامُ. وأطلبُ إجازتي. وأمْسكُ. فتبـدأ الرحلةُ الأخرى. مَقاماتٌ. شَدْوٌ رخيمٌ. أستنفـرُ ثُـمَـالَـةَ من كأس العزّة. فلا أفلحُ في دحـر الكلماتْ. أصيبُ مَـقاتلَ الإباء. فتترامى. أسخـو بفُتَـات اللفظ. مهترئا لَـوْثَـتـهُ الشّـفَاهُ. متراخيًا بَـلّلَـهُ الرّضابُ. وأمضـي.

ويوما . مَلَلْتُ الكلماتْ . فقصدتُ طبيبَ الذاكرَهْ . وطلبتُ الدواءَ للـذاكرَهْ . فأعطـاني وصفـةً : فتّاكـةً . وصفـةً لمحـو الذاكـرَهْ . ارْتحتُ من الذاكرَهْ . غيرَ شيءٍ واحدٍ . ظلَّ في الذاكرَهْ . أنَّ طَبيـبـيَ قد عَـرَفَ يومًا . بعـد مُصَابِه في حُـبّـه . كيف تُـمْحَى الـذّاكرَهْ . ولم يَـنْسَ . منـذُ ذاكَ اليومِ . مَوْتَ الذّاكـرَهْ .

أخـذتُ قـامـوسي . وكلَّ معـاجمي . وسـافـرتُ بها بعـد العـلاج . مستجمًّـا . في غيابِ الـذاكرَهْ . ويومًا . و الشتـاءُ بثلجـه . في أوجِ عزّتـه . ونحن في غـرفـة . على الهضـاب شاهقـة . من جبـال الأرض . وفي تـلال السماءْ . ونوافذُ البلّور تَـحْجُـبُـنَا . ودفءُ البيت نَصْـنَعُـهُ . بالثَّلْجِ نَـهْـزَأ . بالأمطارِ . بالسُّحُبِ . نَـرْنُـو إلى الكونِ . نرنو إلى كَبِدِ السّماءْ . ونقول . في صمت . لا شيءَ بعـدَ اليـومِ يَـفْصلنا . إني . ولغتي . في الـمَـنْأى . القَصيِّ . ولا عُتيِّ من الأنواءِ يَقترِبُ .

أيتها الكلماتْ .

ليس فضيحةً حُبِّي . ليسَ فضيحةً عشقي و شَبَـقي . حين أخلو . حين أرْكَنُ . حينَ أغـدو . وحين أروحْ . على لساني . وبين الشفـاهْ . أنت وَحْـدَكِ فضيحتي .

ردّت فقالت :

لا تُـفْـشِ سِـرّي . سِـرَّ حبّي . سرَّ لَـهَفِي . لا تمشِ على حافتي . لا

تَبُحْ بمكَامنِي . بِجَسَدِي . أنت َجسْرِي ومَسَالكي .

لن أقوَل شيئا . لن أبوحَ . فلستُ بخائنٍ . هل تَأْذَنينَ بهمسةٍ . أيا لغتي . الصَّيفَ ضَيَّعْت الجَسَدْ . الصّيفَ ضيّعت الجُسُورْ .

لو جئتُك كاملاً . ما أحْبَبْتِني . تَمّمي التّمثالَ . ثم قولي . صَنيعتي . أنا الفنّانة . أتيتُ إلى اللوحة المُثْلىَ . فَعَبَدْتُّها . ولّما استقامتْ . بعد لأيٍ وشدّة . وحسبتُ أنّي الصّانعَهْ . وظننتُ أنيّ المالكَهْ . استوى الماءُ و التمثالَ وريشتي . ووجدتُّني . أسيرةَ فنّي . وإلهامي . بلغتُ به النُّهَى . بالشعرِ . روّضتُهُ . فيا عَجَبًا . كيف استقام اللفظُ . بِيَد النَّحَّات . كَمَعَاولِ النَّقْشِ . كَمِبْضَعِ الجَرَّاحِ . وإذا أنا . في الفنّ هائمةٌ . أحببتُ فنّي . فَعَبَدتُّه . نَذرتُ له عُمْرِي . وأحللتُ له زمني . فلا فَقَدتُّكَ يازمني . ولا حُرِمْتُكَ أيا فنّي و يا أمَلِي .

صَـــدًى

أيها الشّعــرُ. أيتهـا الحروفُ . أيـــا كلماتي . سيأتيكُنّ يـومًـــا . من يُنَــظّــفُ القصيدَهْ. من يَصْقُلُ الْــبَــرْدِ يَّ. من يطهّر سَنَــمَ الأقصاب . فقـد ضاع مني قلمي الذّهَبِــيُّ. ضاع منّي. أضعتُـه . أتلفتُ نُــسْــغَــهُ. لَوّثتُ مِـدَادَهُ. فعدتُ إلى اللّوحِ . يـوم كنتُ كالأطفال. أخُطُّ وأمْـحُو. ويَـدي مُلَطّخَـةٌ . بـالكِلْسِ بالطّينِ بـالأغبـارِ. ومؤدّبي كـالعرّاف يقـول مستبشرًا. ستَنجح يا ولدِي. ستَــنْجَحُ يا ولدي.

رُحماكَ يـــا أبتي. عَلّــمْتَــنِي. وظننتُ أنّـــي نــاجحٌ. فأغـدقتَ بـالإكرامِ. وجـودُكَ لا ينتهي . وأعطيْتَ مـؤدّبي. كلَّ السّخـاء. وجئتَ للعَرّاف. هــازئا ومصدّقا. وعانقـتَ قولاً قد بَـدَا. كالنُّـــبُوّة صاحًا. أنَّ ابنَـكَ ناجــحٌ. فحمدًا . لربّ العالمينَ. أنـّك غائبٌ.

كنتُ كالطائرِ. يلازم الأقفـاصَ. حتى أحَـبَّهَا. ويـوما. خـرجتُ محلّقًا. وهجرتُ المساجنَ. وودّعتُ مساكني. وقلتُ. بلا عودة. فالأفقُ رحبٌ. وطلقٌ. ومشـاعـري في عُـــرسهـا. زاهيـةٌ. بيضـاءُ. بأجنحـة خفّاقـة. وركبتُ البحرَ. بحرَ الكـلامِ. وأمسكتُ كالملاّح رايـةَ مقودي.

وأطلقتُ إنذارا. كأصوات المَدافع حَلَّ أمامَها. ضيفٌ أميرٌ. تُدوّي لَهُ. بالأفراحِ صارخةً. ومن لُجَّة الأبحار. تَسَلَّلَ مَرْكَبي. على جَنَبَات الشعرِ. وحذوَ صخورِه. هَبَّتْ رياحٌ. واستشاط الموجُ. فالشّراع ممزّقٌ. والعوامد فُرّطَتْ. و الرّواسي تَزلْزَلُ. على الضّفاف. تكسَّرَ زورقي. سأرثيكَ يازورقي. سأذْكُرُ ما حَيِيتُ سعادةً. قلتُ يوما للورَى. خذوا الدنيا. وهاتوا زورقي.

سأرثيكَ يا أبتي. سأرثي مؤدّبي. سأرثيكِ يا نفسُ. بلوعة. حَرَّى. أنّي لم أصُنْ. شراعا سابحًا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ راسبٌ. في البحرِ. وفي امتحان اللفظ. طفلكَ راسبٌ. قد حاولَ مرةً. ألاّ يكونَ مكابرًا. تآنَسَ باللّفظ. وقال لعلّني. أكونُ ملاّحًا على مياه النّهرِ. قبلَ المُحيط. محبًّا لا يَني. فأحمالُ أرضي. أناخت أظْهُري. رحماكَ يا أبتي. فطفلُكَ راسبٌ.

قد كساني اللفظُ يوما. لوحةً. فنّيّةً. من غابرِ الأحلامِ. جاءت رسومُها. بعطورِ صوت فاتنٍ. فسوّيتُها. ونقشتُ لها الألواحَ. من أنْدلُسٍ. ووَشحتُ لها الأليافَ. وأعْلَنْتُها. أسطورةً ذهبيّةً. وإذ أنا ساجدٌ. لها أنحني. نَزَّ منّي قلمي. فَسَرَى منه المدادُ. فَلَطَّخَ ثَوْبَها. وراح الفَنُّ. إلى الإلاه. منّي يشتكي. ثم أرسل لأبي. رسالةً مطويّةً. قد خَطَّ فيها : إنَّ ابْنَكَ راسبٌ.

أنـا الحرف الطليقُ. أنـا القصيـدة الحرَّى. أنـا اللفظ و السحـرُ. في موكب الشّعرِ. تألَّـقَ مَولِـدِي. ثم ضاعت مُهجتي. فتَـاهَ نجمي.

تأوّهَ الشعـرُ يومـا . واشتكى. متـوجّعا بحنينـه. يَذرف الـدمعَ. وللقصيد أنينُـهُ. كمهاجـرٍ. وكما الغريبِ. فـالأشجانُ داعيـةٌ. و النفس تهفو إلى الأوطانِ . أوّاهُ ياقَـدَرِي. إني أنا الشّعرُ الذي. قـد صارمتيَّمًـا. قـد بات معـذّبًـا . بـلا إلفٍ ولا أملٍ. من ذا الذي بعـد اليوم يقـولني . رحماك يـا قائلـي. فأنـا اليتيمُ. منـذ تـركتَني. وأنـا الكسيرُ. يـوم ضـاع القَـلَمُ.

رَجْعٌ

جرّبتُ دَهْـرًا في السّباحة خُطْوَتِـي . ونزلتُ قاعَ البحرِ . كمحترفٍ للصيّـدِ . كما الغـوّاصِ . يكـاشف الــمُرجان وهـو أليفُـهُ . يـداعب الأصـدافَ وهي خصيمـةٌ . ضغطـتٌ على الأنفـاسِ . ولُـذْتُ بـالأعماق مناديـا . من بحرٍ إلى نَـهَرٍ . في لُـجَجِ الألفـاظِ . وهي عنيدةٌ . وصحتُ في داخلي . هذا هـو النهرُ المحيطُ . وفيما أنا بين يأسٍ ويَـقْظَة . إذا بالفَيضِ . فيض السَّماءْ . يجودُ ويسخـو . تهاطلت الأصـدافُ . وجـاءت محارةٌ . من باطن الألفـاظ . كلؤلـؤةِ الياقـوت . لونُـها لا يـوصَفُ . ألماسةٌ في الماء . كخـاتَمِ الشّمسِ . من سـالف الأعماق . يَـبْـزُغُ . نـورُهـا . كـالكـوكب السّيّار . يعرفها الغوّاصُ . فينسَى ألَــمًا . وتنطلق الأنفاسُ . وهو بمائه . وفاز بـالسّبق . فاز الذي قـد طوى عُمُـرًا . كاليائسِ . صـامتا لا يكشف . وقال . هذا هو الوجد . هذا هو اللفظُ . فلن أنساك يا قلمي . وخَطَّ لفظا . وصـاغ حرفـا . وراح يَـنْظم المنثورَ . ومن أعماق بحرٍ خـالدٍ . يَستخـرج الأوزانَ . وأصبحَ صـائغـا . يسـوّي القلائدَ . ليَـزينَ بها . جيـدًا بحسنـه ظالـمًـا . مَفـاتنهُ الوَجَـنَاتُ . إذا رَمَتْ باللّحظ . أصـابت قيْـصَـرًا . ولّما

استوَى الماءُ. وجاء مَـحَارُهُ. قال قائلهم. درسُ السّباحة. أبدا لا ينتهي. عليكَ بالغوصِ. ألْـفًا وألفًـا. فلســتَ بماهرٍ. ولستَ بصائغٍ. لا يَـهْـزِمُ المرءَ إلاّ لسانُـهُ. ونـادى المنادي. أيا أيّها الطفل. في الدهـر. وفي النهر. ومن جديد. إنك راسبُ.

رحماك يـا أبتي. أوصيْتَني. وأُنْســيتُ وصيّتَكْ. فقد قلـتَ يومـا. الحبُّ كالشعرِ. و الشعر من فتنةِ الألفاظِ. و الكلماتِ. إذا تعرَّى سرُّها. زجاجةٌ تنكسرُ. فالآنَ عرفتُهـا. والآنَ فاتَ أوانُـها. فَسَأُفْشـي سِـرَّهَا. وأقولُــها. لكلِّ طفلٍ بـاسمٍ. لكلِّ فتـىً نـاظمٍ. لكلِّ كهلٍ ناثــرٍ. سأقولُـها. وأقولُ بعدَها. رحماك يا أبتي. إنَّ ابنك راسبٌ.

وفي ليلـةٍ. من ليالي القَــدَرِ. قد دعـا لي ملَــكٌ بدعـوة الخيرِ. أتّى جئْـتَهَا. فـاستجابَ الْـقَـدَرُ. فألفَ حمدٍ يـومها. بَـلَغْتُ ذُرَى المجـد قولاً وفتنةً. وأقسمتُ للشعـرِ. لن أنساك يا قَسَمي. وجئتُ القصيدةَ. سـاعيا ومدبـّرًا. وكـان لي في الإيقاعِ مَـوجـدةٌ. واجتَـزتُ في ليلٍ. وبي أملٌ. اختبـارَ الوزن. وتـلافيفَ الـمُنَى. وأذَاعَ الشعـرُ عنّي سـرَّهُ. قـد خَيَّبَ الظَّنَّ. فليس بناجحٍ. فيا أيها الشعر الرحيمُ. مغفرةً. وسماحةً. فاقبَلْ من فَتًى تـائـه. بَـوْحًا جديدًا. يقول. ويَـهمسُ. سامحوني. فلستُ بشاعرٍ. ثم هَاكُمْ قولـةً. سرًّا دفينًا. طالما يتكـرّر. سأظلُّ ما حييتُ على الـوفاءْ. للصّـورة المثلى. لألف ذكر. سأظلُّ بعـد اليومِ. كَعَبْـدٍ. عاشقٍ للضّـادِ.

معشوقُـهُ الحرفُ. وهو طائـعُـهُ.

وأقبلتُ على الـدرس منتبهًـا. طـالبـا حـذقَ السّبـاحـة. مجتهـدًا. ومعاودًا. وبي في الفَـلاَحِ أُمْـنيَّةٌ. أنْ أبْعَثَ. إلى عـالم الأرواحِ. برقيَّـةً. أقول فيهـا. رحماكَ يا أبتي. فطفلكَ ناجحٌ. ونـزلتُ قاعَ النهرِ مجـــدّدًا. أفتّشُ في المحارِ. كـاشفًا سرَّ اللآلـــي. فإذا أنـا. كَسَعيد الحظ أُمسكها. جـوهرةً. ألْـمَاسَةً. نُـوريَّةً. أداعبُ الأصـدافَ من حـولها. وأومىءُ لها باللّحظ. كفارسٍ في الغوصِ ليس يهابُه. إذا بزلزالٍ. يَـهُـدُّ الكونَ. كونَ لآلـئي. فَـقُـنْـبُلَـةٌ قد انفجرتْ. من بقايـا الحرب. مزّقَتْ أوصالَ طفلٍ حالــمٍ. بَـدَّدَتْ أشـلاءَهُ. وفـرقَعَتْ في الشعرِ شَظيَّـةً. فَـتـاهَ الـوزنُ. وضاع القلمُ.

هل تُبعَثُ الأرواح بعدَ ضَيَاعِهَـا. هل تُولَدُ الألفاظُ بعـد مَـمَـاتِهَا. هل تَـحْملُ الأرحامُ بعد سُبـاتها. كيف السّبيل إلى عَصًا سحريَّـة. تحوّلُ الألفـاظَ زَهْرًا. تغيّـرُ الألحانَ منْ شُؤْمٍ ومن نَحَسٍ. فيأتي طـالعُ اليُمْنِ. وتأتي البركـاتُ. والعَـرّافُ. والتّـلاواتُ. وعطـرُ المكرُمـاتِ. وتهاليلُ الليلِ. وتسـابيـحُ الضُّحَى. وآيَـةُ الكُـرسيِّ. وسـدرةُ المنتهى. و الحزبُ اللّطيفُ. والأختامُ أدعيَةٌ. والنَّـفَّاثاتُ في العُـقَد. راحَتْ تَـضيعُ. وزال الإفكُ. وانبلجَتْ. أشعّةُ النّور. وعندصياحِ الديك. عند السَّحَرْ. صاح مؤذّنـي. هذا هو الفجرُ. وبعدَ الفجرِ. صبحٌ جديدْ.

نَسْخٌ

قلتُ مُفَاتِحًا. هل تأذنينَ لي. أيا لغتي . أن آخُذَ منك إجازةً. وأن أبْحِرَ في محيط الوراثة. حيث الهندسةُ الجديدةْ. حتى أتقنَ حديثَ الاستنساخِ. أنتقي منك الخَيَامِلَ . والجِنَات. وأثَبِّتُ الخلايا في أنابيبِ المَخَابِرِ فسيأتي عليك يومُ النّسيانْ. يومُ افْتقاد الذاكرهْ. وعندها سأبعثُ الملاقحَ. من سُباتها. وسَأنْفُخُ فيها حرارةً. بعد الجماد. وسأستنسخُ من كلماتك الكلماتْ. وسأولِّدُ من صُوَرِك الصُّوَرْ. فاني أخافُ عليك. بتُّ أنا أخافُ عليكِ. من نفسكِ. أنا أخاف عليكِ. على نفسكِ أنا وأنتِ نخاف عليك .

قالت .

هناكَ من بعيدْ. على فراش الذّكرياتْ. بين فُحوصٍ وكُشوفْ. واستوى البقاءْ. ومقاديرُ الرحيلْ. مسكتُ بنفسي. فوجدتُ العزمَ جديدًا. فتحتُ نواظري. وحدّقتَ في الوجود. فرأيتُ مسافاتٍ تقاربَتْ. فاختزلْتُها. واعتصرتُ رحيقَها. جمرةٌ بين نارين. يومَ نطقتُ. يوم أحببتُ لغتي. يوم خِلْتُ أن الحبَّ قد وُئِدَ. ليلةً . بُعِثَ

الوليدُ جـديـدا .

أجَبْتُ . ثم طَلبتُ قلما . وصحيفةً . ولم يمنعوني . فانثال لفظٌ . دَمًا قَرَاحًا . كأنه الأسى . تتقاطر مقلتي . بدأتُ . وماكنت أعلمُ أين سأنتهي .

طلبتُ الرحيلَ .

فحضرتِـنـي .

طلبتُ الشهادةَ .

فحضرتِـنِي .

سألتُ نفسي . اليومَ أحببتُ الحياةَ . أحببتُ سوالفَ الأزمان .

همستُ بَـاسِـمًا .

يَا لُغَتِي . يا آسِرَهْ . مُستبدّ طيفُكِ . في الرّكنِ . في البيتِ . طيفُكِ . على الورق وبين السطورِ وفي المحافظ . طيفُكِ . في السوقِ . وعلى المآذنِ . في الرُّبَى . وعلى الشوطىء . يلاحقني . طيفُكِ . أمْسكيه وروّضي عنادَهُ . فـالطّيفُ طيفُكِ . إذا غضبتُ . فهـو يبتسمُ . طيفُكِ . وإذا انشرحتُ . تقطّبَتْ أهـدابُـهُ . طيفُكِ . أمسكيـه سـاعـةً . أو بعضَ وقتٍ . إني أسوّي أغـنـيـّـةً . وأهديكِ لحنًا . شاديًا . كلماتُـهُ . الطّيفُ طيفُكِ .

قالت .

هل جلستَ يومـا على الضّفاف بعدَ الغُـروبِ و الأضواءُ تتسلّلُ بين حُجُبِ الظـلامِ تخترقِ الضَّـبَابَ لتستقرَّعلى صفـائح الماء وهي هـادئةٌ لا

يـداعبُهــا إلا هفيفُ النسيمِ تـرتعش لــه ارتعـاشـةَ قلـبِ الحبيبِ ينـادي بخَـفَـقَانـهِ أناملَ الطّيف القَصِـيّ أن ارْسُـمْ بريشة الفنّ لوحـةَ الغَزَل على صدري فيهـا الـمَراكبُ تختـالُ على الماء راقصـةً بشِــرَاعِهَا الأبيضِ الفتّان كـأنـه ينادي شاهقاتِ الـمَبَانِـي :

بوركتِ يا لُـغَـتِي .

هَاءُ السَّكْت

هَـلْ أتَـاكَ حديثُ الـمَـرْأة
تُـقَـدِّمُ الجَسَدَ قُرباناً إلى الحبّ
يَـْصطَـلـي بِـنَـارِ النَّـدَمِ .

أيتها اللّغةُ . تَـمَنّعي . أهلاً بكِ . تمرَّدي . اغْرِفـي من بحور الزَّهْوِ . أهلاً بكِ . امْكُري . أمْعِنـي كَيْداً . غيظيني وراوغي . اطْعَني الظهرَ بِـنبَال الشّعْـرِ . فسِهامُ اللفظ حميمَـةٌ . وتفنَّـنـي . اعزفي على نبض القلـوبِ . ثم كُوني . فـاتنةً . خـائنةً . فأهـلاً بكِ . شيئاً واحـداً . لا تفعليه . فللـدَّلالَة حُـرمـةٌ . وللمـدارك سلطـةٌ . للعقلِ كما للحبّ . جـلالٌ ومَهـابـةٌ . لا تتناقضي . لا تتردّدي . لا تجاملي من صانعوكِ . قد شوّهُوكِ . حينَ صرْتِ كَدُمْيَـة . تُسوِّي بكِ الصَّفقَاتُ . كإحـدَى اللَّهجَات . تَدحرجْتِ من سَماء النُّبْلِ . حيـثُ وَضعتُكِ . تَـمرَّغْتِ في الأوحــــال في الطّينِ المُبَلَّلِ . فَتَـدَنَّسَتْ . أزهارُ تَاجِـكِ . لا تَـتَـنَاقَضي . قَسَماً بكِ . يومَ كنتِ فَصيحَةً . ناصعةَ البياضِ . محجوبـةً . قَسَمًـا بـالشّعْرِ . بآياتِ النُّهَى . بالكلماتِ . لو

جئت القَطيعَـةَ مَـا نَقمْتُ عليك. خيـانـةُ المعنَى كَهجْـرَان حُبٍّ. قـدرةٌ وشجاعةٌ. وتَنـاقُضُ الأهواء مَذَلّةٌ ومَهانَـةٌ. لا تتنـاقضي. بربِّ الشّعرِ. لا تتملّقي. أسماءُ الأضـداد لَعينَـةٌ. و السُّهَى. حَقْلٌ مـنَ الألْغـامِ. لا تتفكّكي. لا تتمزّقي. فلا أهْلاً قَـدمْت. لا تتناقضي. ولا سهلا حَلَلْت. لا تَـتَورَّطي. جَسَدُكِ المسكينُ. بينَ يـومٍ و ليلـةٍ. وهبتـةفي الدُّجَـى. هديَّـةً مفضوحـةً. للَّيْـلِ السّعيـد. وعنـدَ الضُّحَى. وَهَبْت الخليلَ فُتَاتَـهُ. منهوكَ القُوَى. فَاترَ الأشلاء. قد خَبَتْ أوْهَاجُهُ. قَدَّمْـتـه. كَبْشَ الْـفداء. لـوَجْـدٍ واهـمٍ. كَـقصيدة الزَّيف. في بَـدْء اللّقَاءْ. كَمَـادحِ السّلطان. يُمَجّـدُ الفُصْحَـى. عَـلَـى مـنْبَـرِ الأشعار. وهو مُـرَاوِغٌ. دَيْدَنُـهُ التَّـلْهيجُ. بـلا خَجَـلٍ. يُسكّـنُ الحَـركات. صَفيـقَ الحَيَـاءْ. كَـغَضْبَـةِ الأقدارِ. على فَلْـذَةِ الأكباد.

أيتها اللّغـةُ.

أيتها الفُصْـحَـى.

لاَ تَـنْسَـيْ وَصيّتـي.

تَـجُوعُ الحُـرَّةُ ولا تأكُـلُ بثَـدْيَـيْهَـا.

تَـفْنَى الأبـيَّـةُ وَلاَ تُضَحّـي بِـحُبِّـهَا.

قَـافيـــةٌ

هَـا أنّـي
وفي البَـدء ما رُمْـتُ إلا ترويضَ لسانـي
قد رَوّضتَ قلبـي وجنـانـي
ها أنـا محـبّ عـاشـقٌ
ها أنا مفتـونٌ بضَـادي ولسـاني
إنيّ أشهـد أنّى الأسيـرُ
وآسـري كلماتـي
بحبّ
قـد دَخلتُ إليـكِ
وبشـرف
أُوَدّعُـكَ
فلَـن أعُـودَ
أيتها القـافيـةُ، أيتها القصيدةُ، قَـسَمًـا بالشّـعـرِ :
لأنْت
طَـالَـقٌ
طَـالَـقٌ
طَـالَـقٌ.

للمؤلف

الأسلوبية و الأسلوب :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1 : 1977، ط 2 : 1982 ، ط 3 : 1988

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993

التفكير اللساني في الحضارة العربية :

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 1 : 1981 ، ط 2 : 1986

قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون

ـ الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1 : 1981، ط 2 : 1984 ، ط 3 : 1989

ـ دار الصباح ، القاهرة ـ الكويت ، ط 4 : 1993 .

النقد و الحداثة :

ـ دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 : 1983

ـ دار أمية ، تونس ، ط 2 : 1989

قاموس اللسانيات (عربي فرنسي ـ فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984

اللسانيات من خلال النصوص

ـ الدار التونسية للنشر ، ط 1 : 1984 ، ط 2 : 1986

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985

(بمعية د. محمد الهادي الطرابلسي)

اللسانيات وأسسها المعرفية

ـ الدار التونسية للنشر ، 1986

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص

ـ الدار التونسية للنشر ، 1988

(بمعية د. عبد القادر المهيري ود. حمادي صمود)

مراجع اللسانيات

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

مراجع النقد الحديث

ـ الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

قضية البنيوية : دراسة ونماذج

ـ ط 1 : دار أمية ، تونس ، 1991

ـ ط 2 : دار الجنوب ، تونس ، 1995

قضايا في العلم اللغوي

ـ الدار التونسية للنشر ، 1994

مساءلات في الأدب واللغة

ـ مؤسسة اليمامة ، الرياض ، 1994

المصطلح النقدي

ـ مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1994

في آليات النقد الأدبي

ـ دار الجنوب ، تونس ، 1994

أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث

ـ مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1996

مباحث تأسيسية في اللسانيات

ـ مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1997

تمّ طبع هذا الكتاب
بمطبعة كوتيب تونس الشرقية
مارس 1998

أيتها اللغة هل تأذنين بإفشاء سرّ من أسرارك :

يومًا ركّبْتُ بك قولا فانساق بيَ الطّيشُ بالألفاظ فلم أدْرِ ما كنتُ أعْنيه ، وأمعنتُ . فتزيّنَتْ صورةٌ ولم أفهم لها معنًى . ردّدتُ القول فاستَطَبْتُه . وعاودتُ فانثال ليَ فيض من الدلالات . وأشعْتُ . فَقبلُوا واستراحوا. ثم سلكوا في النّشوة كلَّ مسلك . فأغراني عَبَثُ الوليد. فظَلّتْ معي رمنا . وأردتُ توبةً واستغفرتُ لديك وهَمَمْتُ أن أعلن الذّنب وأن أصّعَّدَ على منبر الاعتراف أُطَهّرُ النفس من أعلاقها وأغسل بالبوح إثما ظلمتُك به . وأنا بين عزم وانثناءٍ سمعتُكِ وسمعتُ مَنْ حولك تُهاتِفينَ ويُهاتفون :

ليس من عبثٍ ما صنعتَ ، إنما العبث ما ستصنع ، فلا تكابرْ . فلقد نَطَقَتْ على لسانكَ اللغةُ أرسلتْ إليكَ واحدا من جنودها وهم نَفَرٌ من الجنّ قالوا آمنّا فما هم بملحدين ، فلا تستعذْ بالله من طيفٍ ألَمَّ بكَ .

ومن يومها تزيّنتْ لي فتنةُ الكَلِمَات .

9 789973 707543

ر د م ك 9973707543

السعر : 3.900 د.